البحث الثالث

منهج الأستاذ عبدالكريم الخطيب فى تفسيره المسمى بالتفسير القرآنى للقرآن الكريم " عرض ونقد "

إعداد
الدكتور / محمد جبر محمد حسن
المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين فرع الزقازيق
٢٠١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺالمبعوث رحمة للعالمين اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،،،

فإن أشرف ما صُرفت إليه الهمم وفنيت في تدبره ومدارسته الأعمار هو كتاب الله ﷻ؛ لأن شرف العلم من شرف المعلوم، وعلم التفسير من أشرف العلوم، ولذلك اهتم بتفسير كتاب الله ﷻ جم غفير من المفسرين وتنوعت مناهجهم في تفسيره تبعاً لثقافة المفسر التي غلبت عليه في عصره، وإن كان في الغالب اتفاقهم على جانب المنقول في التفسير في بداية الأمر إلا أنهم توسعوا بعد ذلك في جانب الرأي ما بين إطناب وإيجاز من مهتم بالناحية الإعرابية، والبلاغية، والفقهية.. في تفسيره.. الخ.

وممن اشتُهر بالتفسير بالرأي كتاب:(التفسير القرآني للقرآن) لعبد الكريم الخطيب وهو موضوع بحثي وميدانه..وقد اهتم الخطيب بالجانب العقلي في تفسيره، وأولاه عناية خاصة، والإسلام لم يهمل شأن العقل بل جعله مناط التكليف؛ واهتم القرآن الكريم به في كثير من آياته قال تعالى في سورة النساء: ﴿ مُّمَدَّدَةٍ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ عَمَدٍ ، وقوله تعالى في سورة محمد: ﴿ مُّمَدَّدَةٍ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ عَمَدٍ، وقوله تعالى في سورة (ص): ﴿ مُّمَدَّدَةٍ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ عَمَدٍ

ولقد نعى الله على المقلدين الذين لا يُعْمِلُون عقولهم في الإيمان ، وحذرهم

من التقليد الأعمى والانسياق إلى ما اتبعه الآباء من الأهواء قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ عَمَدٍ

وأمر الحق تبارك وتعالى العقل بالاستسلام لأوامر الشرع وإن لم يدرك غايتها؛ لأنه محدود الطاقة مثل قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ عَمَدٍ.

أهمية الموضوع:

١- الأستاذ الخطيب عالم ذُو ثقافة واسعة وليس أدل على ذلك من مؤلفاته الجمة التي أثرت المكتبة الإسلامية.

٢- إن الاتجاه العقلي في التفسير من الاتجاهات المنحرفة لاسيما إذا خالفت جانب النقل الصحيح عن رسول اللهﷺ، والصحابة وتابعيهمﷺ، وإعمال العقل ليس على إطلاقه بل عند عدم وجود النص..ولا اجتهاد مع وجود النص من كتاب الله تعالى، أو سنة رسولهﷺ الصحيحة.

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: «..وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل..» [(١)].

٣- إن أصحاب المدرسة العقلية لا يُسلمون لنصوص الكتاب والسنة على الإطلاق؛ بل يُعملون عقلهم الحر في نصوص الشرع فما وافقهم أخذوا به، وما خالفهم ردوه .

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن قيم الجوزية (المتوفي : ٧٥١هـ) (٦٨/١) ط : مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، الطبعة :(١٣٨٨هـ-١٩٦٨م) تحقيق : طه عبد الرءوف سعد.

وهذا البحث بمثابة لبنة في بناء شاهق يفرد برسالة مستقلة في موضوعها ، ولكني تناولت هذا المنهج من باب التنبيه على ما فيه من بعض الشطحات التي وقع فيها المفسر.

أسباب اختياري لهذا المنهج:

إن لكل علم من العلوم شروطاً وضوابط لابد لمن يتصدى للعلم أن يلتزم بها عند الاشتغال به، وعند عدم الالتزام بها يترتب على ذلك الانحراف والخلل، لاسيما إذا كان هذا الأمر يتعلق بأشرف العلوم قدراً وأعلاها منزلة ألا وهو تفسير القرآن الكريم، فلاشك أن الأمر يتعلق بمراد الله تبارك وتعالى في كتابه، فلا ينبغي للمفسر أن يهمل هذه الشروط والضوابط والعلوم التي أصل لها العلماء لمن أراد أن يتصدى لتفسير القرآن الكريم، وإلا كان تفسيره قائماً على تغيير الحقائق، وتبديل المعاني، وقلب المفاهيم!!

هذا..ومن أهم أسباب اختياري لهذا الموضوع:

أولاً: عدم التزام المفسر بمصادر التفسير الأصلية وأصوله الصحيحة الثابتة المتفق عليها عند أهل التفسير، واعتماد الأستاذ الخطيب في تفسيره للقرآن الكريم على نظرية النشوء والارتقاء – داروِن–وقد أثبت العلم الحديث بطلان هذه النظرية؛ لأنها قائمة على الاحتمال، والنظريات المتغيرة لا على الحقائق العلمية الثابتة .

ثانياً: إنكار الأستاذ الخطيب: للنسخ في القرآن الكريم.

ثالثاً: إنكار الأستاذ الخطيب: للأحاديث الصحيحة التي وردت في السحر.

رابعاً: إعمال الأستاذ الخطيب: للعقل، ونبذه للتقليد ودعوته إلى التجديد بغير دليل!! مما ترتب على ذلك إخضاع النصوص القرآنية للهوى، وعدم الدقة في فهم المراد من كلام الله تعالى.

خامساً: عدم موافقة عنوان تفسيره–التفسير القرآني للقرآن– لمضمونه.

المنهج في البحث:

بمشيئة الله تبارك وتعالى سألتزم بما يلي:

١- المنهج الاستقرائي الأغلبي باستقراء منهج المفسر والوقوف على أهم النواحي في تفسيره المتعلقة بالتفسير، وعلوم القرآن.

٢- تجنبت الاستطراد والإسهاب في النقول والتعليق عليها بما يوضح وجهة نظري مع عدم الخروج عن الموضوع.

٣- عزوت الآيات القرآنية المستشهد بها إلى سورها، وخرجت الأحاديث من مصادرها الأصلية مع الحكم عليها في غير صحيحي البخاري ومسلم.

٤- التزمت بالكتابة الحديثة مع مراعاة علامات الترقيم والإملاء، وبيان الغريب من الألفاظ من المعاجم اللغوية.

٥- في التقسيم التسلسلي الهرمي للبحث جعلت الدخيل والإسرائيليات التي ذكرها الأستاذ الخطيب في تفسيره في نهاية البحث، وإن كانت وجهات النظر تختلف بأن تضم الإسرائيليات إلى التفسير بالمأثور كما هو مشاهد في كتب التفسير إلا أنني حرصت على أن أجعلها مستقلة؛ لأنه ينبغي فصلها عن التفسير والتنبيه عليها لتنزيه التفسير عنها.

الدراسات السابقة:

منهج التفسير القرآني للقرآن لصاحبه عبد الكريم الخطيب للأستاذ:يحيي محمد حمد دخل الله- بالجامعة الأردنية- قسم مناهج المفسرين- إشراف: الأستاذ الدكتور: فضل حسن عباس- رحمه الله[1].

---

(١) نقلاً عن: موقع هدي الإسلام بإشراف للأستاذ الدكتور: عبد الحي الفرماوي، ولم أقف على هذه الرسالة ولم أطلع عليها، بل وقفت على عنوانها فقط.

خطة البحث

هذا ويتكون البحث من مقدمة، وتمهيد،وأربعة مباحث، وخاتمة

المقدمة، وتتكون من:

أهمية الموضوع

أسباب اختياره

المنهج في البحث

الدراسات السابقة

خطة البحث

التمهيد، ويتضمن ما يلي:

مميزات المدرسة العقلية الحديثة في التفسير:

عيوب المدرسة العقلية الحديثة في التفسير:

أبرز علماء المدرسة العقلية الحديثة في التفسير:

بعض آراء الأستاذ الإمام محمد عبده بإيجاز:

موقف الأستاذ الخطيب من أقوال الأستاذ الإمام في تفسيره لجزء عم:

موقف الأستاذ الخطيب من العقل:

موقف الأستاذ الخطيب من قضية التقليد والمقلدين:

موقف الأستاذ الخطيب من الاجتهاد في تفسيره:

المبحث الأول: التعريف بصاحب هذا التفسير، **ويتضمن ما يلي:**

التعريف بمؤلف هذا التفسير، ومؤلفاته، وفاته، ثم وصف تفسير الأستاذ الخطيب، ومقدمة التفسير، والسبب في تأليفه لهذا التفسير، ومنهجه في تفسيره.

المبحث الثاني:موقفه من التفسير بالمأثور

موقفه من أسماء السور:

موقفه من علم المكي والمدني:

موقفه من علم أسباب النزول:

موقفه من أول ما نزل و آخر ما نزل:

موقفه من علم المناسبات:

موقفه من علم القراءات:

موقفه من علم الناسخ والمنسوخ:

موقفه من الحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية:

موقفه من التفسير والتأويل، والمحكم والمتشابه:

موقفه من الآيات المتشابهات الواردة في الصفات

المبحث الثالث: موقفه من التفسير بالرأي، ويتضمن ما يلي:

موقفه من علم غريب القرآن:

موقفه من علوم اللغة:

موقفه من علم آيات الأحكام:

موقفه من الإجماع:

موقفه من التفسير الموضوعي:

موقفه من التفسير العلمي:

موقفه من علم المتشابه اللفظي في الآيات القرآنية:

موقفه من زيادة حرف في القرآن الكريم:

موقفه من التفسير الإشاري:

موقفه من الفرق بين النبي والرسول:

المبحث الرابع :موقفه من الدخيل والإسرائيليات، ويتضمن مايلي:

موقفه من نظرية النشوء والارتقاء:

موقفه من قصة الغرانيق:

موقفه من تفاصيل ما أجمله القرآن:

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم فهرس المصادر والمراجع.

تمهيد

من المعلوم شرعاً أنه لا معصوم من الخطأ إلا من عصمه الله ﷻ من عباده الأنبياء والرسل عليهم السلام فيما يبلغونه من رسالات ربهم، فإن كلاً منا يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله ﷺكما قال الأئمة: مجاهد، والحكم بن عتيبة، ومالك وغيرهمﷺ:«ليس أحد من خلق الله إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ»[1] فكل إنسان غير المستثنين المذكورين مهما بلغ من ذروة الكمال والفضل والعلم هو عرضة للخطأ والنسيان، وصدور الخطأ من بني آدمﷺ شيء محتوم لا يُنكر.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله بعد ذكره عصمة النبي ﷺ:«وأما أمته؛ فكل واحد منهم غير معصوم بل يجوز عليه الغلط، والخطأ، والنسيان، ..فإمكان الخطأ والوهم باقٍ... »[2].

إن لكل عالمٍ هفوةً ولكل جوادٍ كبوةً، والله تبارك وتعالى ينفع بجهد الجميع، فظهور الخطأ ليس عيباً، وإنما العيب بل كل العيب الإقرار على الخطأ والدعوة إليه بعد ظهور خطورته، وعدم الرجوع عنه فالتعلق بزلة عالم ليس من منهج الإسلام الصحيح؛ لأن الموقف الصحيح من زلة العالم: هو التحذير منها بكل أدب وإنصاف لئلا تكون سبباً من أسباب وقوع الناس في الزلل، ولا يجوز الأخذ بها فضلاً عن نشرها وترويجها تقليداً لصاحبها وتعصباً له، ولا يصح الاعتماد عليها ، ولا ينتقص العالم من أجلها .

وقد تتابعت أقوال العلماء في الاعتذار عن أهل العلم، فيما بَدر منهم في بحر علمهم وفضلهم، وأن ما يصدر من العالم من هنات، وزلات لا تكون مانعة للاستفادة من علمه وفضله، ولا سبباً للطعن والهجوم عليه ومن ذلك :

---

(١) جامع بيان العلم (٢/٩٢٥) .
(٢) الموافقات للإمام : الشاطبي(٤/٤٧٠) طبعة : دار ابن عفان، (١٩٩٧م).

قال الإمام ابن قيم الجوزية:«ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان؛ قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تُهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين» [(١)].

وقال الإمام ابن تيمية: «ومن له من الأمة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد في جماهير أجناس الأمة فهؤلاء هم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وغلطهم قليل بالنسبة إلى صوابهم وعامته من موارد الاجتهاد التي يعذرون بها وهم الذين يتبعون العلم والعدل فهم بعداء عن الجهل والظلم، وعن اتباع الظن وما تهوى النفس»[(٢)].

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة كبير المفسرين قتادة بن دعامة السدوسي رحمهما الله تعالى بعد أن اعتذر عن رأيه في القدر : « ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك » [(٣)] .

بل إن من المشاهد في أحوال الناس أن من تتبع السقطات، ابتلي بمثلها بل وبأعظم منها.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام: ابن قيم الجوزية(٣/٣٢٠) ط:مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) مجموع الفتاوى للإمام : ا بن تيمية (١١/٤٣) طبعة : دار الوفاء(٢٠٠٥م)

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/٢٧١)، وينظر: أسباب الخطأ في التفسير للدكتور: طاهر يعقوب(١/٧٥) باختصار.وينظر: ملتقى أهل الحديث تحت عنوان: (الموقف الصحيح من زلة العالم) بتاريخ: (٤/٧/٢٠٠٤م) باختصار، وبعض تصرف.

مميزات المدرسة العقلية الحديثة في التفسير:

أولاً: نظرت للقرآن الكريم نظرة بعيدة عن التأثر بمذهب من المذاهب، فلم يكن منها ما كان من كثير من المفسِّرين من التأثر بالمذهب إلى الدرجة التي تجعل القرآن تابعاً لمذهبه فيؤوِّل القرآن بما يتفق معه، وإن كان تأويلاً متكلفاً بعيداً، أو بمعنى آخر: لم تدخل هذه المدرسة إلى التفسير بإرث عَقدي مسبق بتأويل النص تبعاً للهوى.

ثانياً: وقفت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم تُشَوِّه التفسير بما شُوِّهَ به كثير من كتب المتقدمين من الروايات الخرافية المكذوبة، التي أحاطت بجمال القرآن وجلاله، فأساءت إليه وجرَّأت الطاعنين عليه!!

فهذا بعض ما نحمده لهذه المدرسة، ولا نستطيع أن نقلل من فضلها فيه[1].

عيوب المدرسة العقلية الحديثة في التفسير:

أولاً: أَعطت لعقلها حرية واسعة، فتأوَّلت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب، وجارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها.

ثانياً: حمَّلت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهوداً عند العرب في زمن نزول القرآن الكريم.

ثالثاً: طَعنت في بعض الأحاديث: تارة بالضعف، وتارة بالوضع؛ مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم، وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى بإجماع أهل العلم، كما أنها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة في كل ما هو من قبيل العقائد، أو السمعيات، مع أن أحاديث الآحاد في هذا الباب كثيرة لا يُستهان بها [2].

---

(١) التفسير والمفسرون للدكتور :محمد حسين الذهبي(٤٠١/٢) باختصار، وتصرف.
(٢) المرجع السابق للدكتور : الذهبي(٤٠٢/٢) باختصار، وتصرف..

أبرز علماء المدرسة العقلية الحديثة في التفسير:

هذا.. وإن أهم رجال هذه المدرسة على سبيل المثال لا الحصر، الأستاذ الإمام الشيخ: محمد عبده –زعيمها ومفتى الديار المصرية الأسبق–، وتلميذه: السيد:محمد رشيد رضا، والشيخ: محمد مصطفي المراغي شيخ الأزهر، والأستاذ: عبد الكريم الخطيب.. وغيرهم رحمهم الله تعالى جميعاً.

بعض آراء الأستاذ الإمام: محمد عبده بإيجاز:

إن الأستاذ الإمام غني عن التعريف، فلا داعي لترجمته خشية الإطالة، فلقد كان مفتياً للديار المصرية سابقاً.

يقول الدكتور: فهد الرومي: « يلخص لنا آراء الأستاذ الإمام: محمد عبده وما نادى به:

أولاً:تحرير العقل من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها اللهﷻ لترد من شططه، وتقلل من خلطه، وأنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم.

ثانياً:إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير.

ثالثاً: صلة العقل عند الأستاذ الإمام بالدين وثيقة ، فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية» [1]

ويعتقد الأستاذ الإمام: أن الإيمان بالله لا يؤخذ من الرسول ﷺ ولا من الكتاب ولا يصح أخذه منهما بل من العقل!!

---

(١) الإسلام والنصرانية للشيخ: محمد عبده (ص ٥٤-٥٥)

«وقد اتفق المسلمون إلا قليلاً ممن لا يعتد برأيه فيهم- على أن الاعتقاد بالله مُقدم على الاعتقاد بالنبوات، وأنه لا يمكن الإيمان بالرسل إلا بعد الإيمان بالله؛ فلا يصح أن يؤخذ الإيمان بالله ﷻ من كلام الرسل، ولا من الكتب المنزلة، فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله الله إلا إذا صدقت قبل ذلك بوجود الله، وبأنه يجوز أن ينزل كتاباً ويرسل رسولاً »[1]

«وأما إذا تعارض العقل والنقل عنده فقد اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دَل عليه العقل»!!

وقد كان لهذا المنهج أثره في حياة الأستاذ الإمام وأقواله فلم يقبل بالحالة التي كان عليها الأزهر؛ لأنها قائمة على التقليد فدعا إلى الإصلاح والتجديد ونبذ التقليد.. »[2].

موقف الأستاذ الخطيب من أقوال الأستاذ الإمام في تفسيره لجزء عم:

لقد تأثر الأستاذ: الخطيب بأقوال الأستاذ الإمام:محمد عبده، ونقل الأستاذ: الخطيب كثيراً من النصوص من تفسير الأستاذ الإمام لجزء عم، وتأثر بقوله في السحر.

فعند تفسيره لسورة التكوير: قال الأستاذ الخطيب،عند تفسير قوله تعالى: ﴿مُمَدَّدَةٍ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾[3] يقول الإمام محمد عبده : وحشر الوحوش، إما جمعها لاستيلاء الرعب عليها ، وخروجها من أجحارها وأوكارها ، ونسيانها ما كانت تخافه فتفر منه .. فتحشر هائمة، لا يخشى بعضها بعضاً، ولا يخشى جميعها سطوة الإنسان .. وقيل: حشر الوحوش هلاكها .. »[4].

---

(١) المرجع السابق (ص٥٩)
(٢) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور: فهد الرومي (ص١٤٦-١٤٧) باختصار.
(٣) سورة التكوير الآية (٥).
(٤) التفسير القرآني للقرآن (١٦ / ١٤٦٩).

فمن خلال استشهاد الأستاذ الخطيب بأقوال الأستاذ الإمام يتضح مدى تأثره بمدرسته .

يقول الأستاذ: عبد الكريم الخطيب عند تفسيره لسورة الفلق تحت عنوان: «النبيﷺ وحديث السحر» «هذا ما يفهم من منطوق آيات الله في قوله تعالى من سورة الفلق : مُمَدَّدَةٍ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ عَمَدٍ .. وهو فهم يتفق مع سياق السورة ، ومع سورة الإخلاص التي سبقتها ، وسورة الناس التي جاءت بعدها ، والتي كان من ثلاثتها خاتمة كتاب الله على ترتيبه في المصحف الذي رتبت سوره بتوقيف من الله تعالى ، على ما وقع في يقيننا؛ ولكن بعض المفسرين قد ذهب في فهم هاتين الآيتين فهماً آخر ، إذ زعم أن سورتي الفلق ، والناس نزلتا على رسول الله ﷺ ليسترقي بهما من السحر الذي أصابه، والذي كان قد صنعه له رجل يهودي يدعى«لبيد بن الأعصم».. وقد استند هؤلاء المفسرون في هذا على ما جاء في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث ؛ من حديث هذا السحر الذي يقال: إنه أصاب رسول اللهﷺ» [1].

قلت: بعد أن ذكر الأستاذ عبد الكريم الخطيب روايات الأحاديث التي وردت في سحر النبي ﷺ، والموجودة في صحيح البخاري قال: «هذا ما رواه البخاري من حديث السّحر ، ومثله ما رواه مُسلم . والروايات الثلاث للحديث متقاربة اللفظ والمعنى .. وهي تشير إلى أن رسول الله ﷺ قد وقع تحت تأثير السّحر من رجل يهودي ، وأن هذا التأثير قد بلغ به حدّاً يُخيّل إليه فيه أنه يفعل الشيء وما فعله، وأنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وفي مسند الإمام أحمد عن إبراهيم بن خالد .. عن عائشة رضي الله عنها قالت : لبث رسول الله ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٧٢٨/١٦).

النساء ولا يأتي ، فأتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه .. » [1].

وعلق الأستاذ الخطيب على هذه الروايات بقوله:«والذي ينظر في هذه الأحاديث، وتلك الأخبار يتردّد كثيراً في قبولها، أو الوقوف عندها، إذ كانت تضع رسول الله ﷺ في الموضع الذي يجور على كماله ، وينتقص من عصمته ..وقد كان ذلك مثار بحث وخلاف بين العلماء، فردّ كثير منهم هذه الأحاديث، وأبى أن يقبلها جاعلاً عصمة النبيﷺ فوق كل اعتبار رافعاً مقام النبوّة فوق كلّ مقام .. على حين نجد كثيراً من العلماء قد انبرى للدفاع عن كتب السنة الصحاح ، وما ورد فيها من أحاديث محاولاً سدّ باب الطعن فيها ؛ بتخريج مثل هذه الأحاديث على وجه يمكن قبولها عليه، ولو ركب في هذا مركب التعسّف في التأويل والتخريج .. والانتصار للسنّة، ولكتب الصحاح الحاملة لها أمر يحرص عليه كلّ مسلم ، ويلتقي عنده المسلمون جميعاً بلا خلاف .. ولكن حين يكون الموقف كهذا الذي نحن بين يديه تختلف وجهات النظر ، ويكون في المسلمين من يؤثر الجمع بين قبول الحديث وبين الجهة التي يتعلق بها هذا الحديث محاولاً تعليل ذلك وتبريره على حين يكون في المسلمين من يؤثر مقام النبوّة وتنزيهها عن عوارض النقص على كل خبر يساق ، أو حديث يروى .. » [2].

ويقول الأستاذ الخطيب: «وممن ردّ حديث السّحر ، والأخبار المتصلة به من المفسّرين الإمام: الطبرسي[3] ..واستشهد الأستاذ الخطيب بقول الأستاذ الإمام، وأيده فيما ذهب إليه وقال الأستاذ الخطيب-: ويقول الأستاذ الإمام: محمد عبده ،

---

(١) ذكره الإمام:أحمد في(المسند)مسند النساء(٤٠/٤٠٥) وقال المحققون: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.
(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٦ / ١٧٣١).
(٣) في تفسيره: (مجمع البيان في تفسير القرآن) وهو من أعلام الشيعة الإمامية الاثنى عشرية.

تعقيباً على حديث السحر :

«وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة ، ولا ما يجب لها؟ «إن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة . يقصدون نفس النبيﷺ . قد صحّ ، فيلزم الاعتقاد به .. وعدم التصديق به من بدع المبتدعين؛ لأنه ضرب من ضروب السحر، وقد جاء القرآن بصحة السحر » !.

ويعلق الإمام محمد عبده على هذه المقولة بقوله: «فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح، والحق الصريح في نظر المقلد . بدعة؟ نعوذ بالله! «يحتج بالقرآن على ثبوت السحر(١)، ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه ﷺ، وعدّه من افتراء المشركين (٢) عليه ويؤول القرآن في هذا ، ولا يؤول في تلك ؛ مع أن الذي قصده المشركون ظاهر ؛ لأنهم كانوا يقولون : إن الشيطان يلابسه عليه السلام وملابسة الشيطان تُعرف بالسحر عندهم ، وضرب من ضروبه ، وهو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى «لبيد بن الأعصم».. فإنه . أي السحر الذي سحره ابن الأعصم . قد خالط عقله –أي عقل النبيﷺ– وإدراكه في زعمهم.

ثم يقول الإمام محمد عبده : «والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ، فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته ، وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء . أي القرآن . بنفي السحر عنه عليه السلام، حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، ووبخهم على زعمهم هذا

---

(١) أي بما جاء في سورة البقرة ، عن الملكين اللذين يعلمان الناس السحر الآية(١٠٢) من سورة البقرة.

(٢) وهو ما رد الله به على المشركين قولهم : مُّمَدَّدَةٍ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ عَمَدٍ فرماهم الله ﷻ بقوله :

مُّمَدَّدَةٍ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ عَمَدٍ من سورة الإسراء.

.. فإذن ليس هو بمسحور قطعاً».

«وأما الحديث . على فرض صحته . فهو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد ..وعصمة النبيﷺ من تأثير السحر في عقله، عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون .. ».

ثم يقول الإمام:«على أن الحديث الذي يصل إلينا عن طريق الآحاد ، إنما يحصّل الظنّ عند من صحّ عنده .. أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح ، فلا تقوم به عليه حجة .

ثم يقول الإمام:«وعلى أي حال فعلينا أن نفوض الأمر في الحديث، ولا نحكّمه في عقيدتنا، ونأخذ بنص الكتاب، وبدليل العقل .. فإنه إذا خولط النبيﷺ في عقله . كما زعموا . جاز عليه أن يظن أنه بلّغ شيئاً وهو لم يبلغه، أو أن شيئاً نزل عليه وهو لم ينزل عليه .. والأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان .. »[1].

ثم يعلق الأستاذ: عبد الكريم الخطيب على ما سبق ويقول: «والإمامان الجليلان . الطبرسي ، ومحمد عبده . يقفان هذا الموقف من حديث السحر ، وبين يديهما هذه المقولات الكثيرة التي تنتصر لهذا الحديث وتدفع يد المعارضين له ، بل وترميهم بالكفر ، والإلحاد »[2].

وبعد أن ذكر الأستاذ الخطيب: أقوال العلماء كالقاضي عياض، والألوسي، وابن قيم الجوزية ، وابن حزم.. وغيرهم في حديث السحر قال: «هناك إذن ثلاثة مواقف للعلماء من هذا الحديث، حديث السحر :

١- موقف من يردّه ويأبى التسليم به تنزيهاً لمقام النبوة ، وتأكيداً لعصمة النبيﷺ.

٢- موقف من ينصر هذا الحديث، ويحاول تخريجه على ما يحفظ للنبوة

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٦ / ١٧٣٤)
(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٦ / ١٧٣٤).

مقامها، ويبقى على النبيﷺ عصمته .

٣- موقف من تجنب الخوض في هذه المعركة مهاجماً أو مدافعاً، فلم يعرض لهذا الحديث بإشارة من قريب، أو من بعيد .

وإني إذ أسأل نفسي أي موقف من هذه المواقف أنحاز إليه ، وآخذ مكاني فيه ما دمت قد أقحمت نفسي في زمرة العلماء الدارسين لكتاب الله . لأجدني محمولاً حملاً لا شعورياً على التوقف في هذا الحديث ، ثم على تركه وعدم الأخذ به .. وذلك لأمور :

أولها : أنه ليس حديثاً يروى عن رسول الله ﷺيريد به أمراً من أوامر الدين ، أو نهياً من نواهيه، أو يبغى به نصحاً، أو إرشاداً مما يتصل بالشريعة وأحكامها وآدابها ..فهذا الحديث . إن صح . لا يعدو أن يكون خبراً عن حال من أحوال رسول الله ﷺ الخاصة به ، والتي لا يطلع عليها غير خاصة أهله كالسيدة عائشة- رضي الله عنها- فهذا الحديث . إن صح . لم يرد إلا عن السيدة عائشة- رضي الله عنها- ، وهذا يعنى أن هذا العارض الذي عرض للنبي ﷺلم يكن له أي أثر خارج بيت الرسولﷺ ، وخارج صلته بالسيدة عائشة - رضي الله عنها- بالذات ، والتي قالت: إن رسول اللهﷺ حبس عنها ستة أشهر ، وفي بعض الروايات سنة .. ولو كان هذا العارض الذي عرض للنبيﷺ ذا أثر في غير هذه الدائرة الضيقة المحدودة لاشتهر أمره، ولكان حدثاً من الأحداث التي يهتز لها كيان المجتمع الإسلامي كله، بل ولطارت أنباؤه خارج الجزيرة العربية، ولكان حديثاً جارياً على ألسنة المسلمين وأعداء المسلمين في كل مكان، ولعاش في أجيال الأمة الإسلامية زمناً ممتداً لا ينقطع الحديث عنه ..أما أن يكون حديث آحاد ، لا يمسك به إلا آل الزبير عن السيدة عائشة -رضي الله عنها-فهذا ما لا يتسع منطق الحياة لقبوله ، إلا أن يكون مما يتصل بالعلاقة الزوجية بين النبيﷺ ، وبين

السيدة عائشة- رضي الله عنها- وحدها .. ، فلا تطلع عليه إلّا هي ومن كان قريباً منها كأبناء أختها صفية ، من زوجها الزبير بن العوامﷺ.

وثانيها: أن القرآن الكريم يقول للنبي الكريمﷺ: ﴿مُمَدَّدَةٍ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ عَمَدٍ[1]، وهذا وعد من الله ﷻبحفظ النبي ﷺمما يكيد له به أعداؤه سواء أكان ذلك فيما يتصل بجسده ، أو عقله ، أو مشاعره ..فالله ﷻ قد تولى حراسة النبيﷺ حراسة مطلقة ؛ بحيث لا يخلص إليه من الناس أذى ، أو يصل إليه منهم سوء ..ولهذا قال النبي ﷺ حين تلقى هذه الآية . قال لمن كان يتولى حراسته من أصحابهﷺ تطوعاً :«يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله ﷻ»[2] فهل يعقل بعد هذا؛ أن يتولى الله ﷻحراسة النبيﷺ ، وأن يخبره بهذا ، ثم لا يدفع عنه هذا الكيد الذي يقال: إن «لبيد بن الأعصم»كاده له ، وأصابه به في أقتل مقاتله، وهو عقله؟ وكم امتدت هذه البلوى؟ لقد قيل: إنها ستة أشهر ، وقيل سنة كاملة!! .

وماذا يبقى من النبي ﷺ بل من أي إنسان . إذا أصيب في عقله ، واختلط في تفكيره ، حتى ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله ، ويأتي أزواجه وهو لا يأتيهن؟أما كان من الجائز، بل من الواقع الذي لا يمكن توقيه . أن يحدث النبيﷺ . وحاشاه . في شرع الله حدثاً ، فيقول . وهو لا يدرى . ما يحسبه المؤمنون المتلقون عنه . أنه قرآن أو سنة ، وهو ليس بقرآن ولا سنة ، فيأخذون به ويقيمون دينهم عليه؟ أم ترى أن المسلمين . وقد عرفوا ما بالنبيﷺ . عزلوه عن النبوة خلال تلك المدة، فلم يسمعوا ما يقول، ولم

---

(١) سورة المائدة جزء الآية(٦٧).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في (الجامع الصحيح سنن الترمذي)(ك):التفسير (ب):سورة المائدة(٥/٢٥١) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيقﷺ قال كان النبي ﷺ يحرس، ولم يذكروا فيه عن عائشة –رضي الله عنها- وقال الألباني : حديث حسن.

يقبلوه منه؟ وكيف والله ﷻ يقول: مُمَدَّدَةٍۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ عَمَدٍ [1] ؟أمسلمون بلا نبي ، والنبي فيهم؟ أم نبي ولا مسلمون ، والمسلمون ألوف ، وألوف بين يديه ..؟

وثالثها: المعروف المؤكد من سيرة الرسولﷺ أنه كان إمام المسلمين في الصلوات الخمس في الحضر ، وفي السفر . فهل كان النبيﷺ خلال هذا العارض الذي عرض له . وقد امتدّ أشهراً . هل كان يقيم للمسلمين صلاتهم دون أن يختلط عليه أمر الصلاة في أقوالها ، وأفعالها؟ وكيف كان يمكن أن يتحقق من أنه جالس ، أو قائم ، أو راكع ، أو ساجد .. وهو في حال يحيّل إليه فيها أنه يفعل الشيء ولا يفعله؟لقد كان الرسول ﷺحريصاً على أن يقيم للمسلمين صلاتهم حتى في مرض موته ، فكان يتحامل على نفسه ، ويمضى إلى المسجد . لا تكاد تحمله قدماه . مستنداً من جانبيه على صاحبين من صحابته ، حتى ثقل عليه المرض في اليومين الأخيرين من حياته في هذه الدنيا ، فأمر أبا بكرﷺ بأن يصلّى بالناس .

وإذن فالمقطوع به أن النبي ﷺ لم يقطعه عارض أبداً عن الصلاة بأصحابهﷺ غير عارض مرض الموت في يوميه الأخيرين .. وإذن فأين؟ ومتى؟كان هذا العارض الذي دخل على النبيﷺ من السّحر ، والذي أدار تفكيره، وقلب موازين الأمور بين يديه؟ وهل كان هذا العارض ، ولم يشهد المسلمون أثراً له في أقوال النبيﷺ وأفعاله في الصلاة؟ ولمَ إذن يأخذ هذا الوصف؟ ولمَ إذن يكون له في حياة النبيﷺ ذكر؟.فإذا قلنا إن النبي ﷺلم يسحر ، ولم يمسسه سوء في جسده ، أو عقله قام بين أيدينا أكثر من شاهد يصدّق هذا القول ويؤكده .

---

(١) سورة الحشر جزء الآية(٧).

فأولاً: عصمة النبوّة تلك العصمة التي لا تتحقق إلا بالسلامة المطلقة في العقل أولاً ، وفي الجسد ثانياً.

وثانياً: ما وعد الله به نبيّه الكريمﷺ في قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وثالثاً: الواقع المحسوس الذي قامت عليه حياة الرسولﷺ في أصحابهﷺ ، وأنه كان يقيم لهم صلاتهم في الحضر والسفر ، وفي السلم والحرب ، ولم يتخلف عن هذا يوماً واحداً ، أو فريضة واحدة ، إلا في اليومين الأخيرين من حياته .

هذا ما ينبغي أن يتقرر ويتأكد، وما يجب أن نقيم عليه إيماننا بالله ﷻ، وبرسول اللهﷺ.هذا وقد يلقانا من يقول : كيف تتصدى لخبر ورد في البخاري ، وفي مسلم وفي كتب السنة الصحاح؟ وكيف تشك فيه وتتردد في قبوله؟ إن ذلك إن سلّم لك به كان معناه إهدار السنة، ووضع مصادرها الموثّقة موضع الاتهام!!

ونقول: كلا إننا نحترم كتب السنة، وننزل أصحابها من نفوسنا منزلة الإعزاز والإجلال، ونكبر جهادهم المبرور في جمع السنّة المطهرة وحفظها ..ولكن هذه قضية ، ورفع مقام هذه الكتب فوق مقام القرآن الكريم ، وإنزاله على حكمها ، مما يخالف صريح محكم آياته . قضية أخرى ..ولقد صحّ منا العزم ، ونحن نكتب هذه السطور الأخيرة من تفسير كتاب الله أن نلتقي بكتب السنّة في دراسة ، نرجو أن يوفقنا الله فيها ، وأن يعيننا عليها ، وأن يسدد خطانا على طريق الحق إلى سنة رسول الله ﷺ التي هي وحي من عند الله ﷻ ، وبيان شارح لكتاب الله ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ

---

(١) سورة المائدة جزء الآية(٦٧).

إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ عَمَدٍ[1].

قلت: لا أجد في هذا المقام للرد على الأستاذ الخطيب ، والأستاذ محمد عبده في إنكار الأحاديث الصحيحة التي وردت في سحر النبي ﷺإلا قول أستاذنا الدكتور:محمد حسين الذهبي :

«وهذا الحديث الذي يَردُه الأستاذ الإمام رواه الإمام البخاري وغيره من أصحاب الكتب الصحيحة، وليس من وراء صحته ما يخل بمقام النبوة، فإن السحر الذي أُصيب به ﷺكان من قبيل الأمراض التي تعرض للبدن بدون أن تؤثر على شيء من العقل، وقد قالوا: إن ما فعله «لبيد بن الأعصم» بالنبيﷺمن السحر لا يعدو أن يكون نوعاً من أنواع العُقد عن النساء، وهو الذي يسمونه «رباطاً» فكان يُخيل إليه أن عنده قدرة على إتيان إحدى نسائه، فإذا ما هَمَّ بحاجته عجز عن ذلك. أما السحر الذي نُفي عنه ﷺفمراد به الجنون، وهو مخل ولا شك بمقام النبوة، وقد قالوا: مُّمَدَّدَةٍ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ عَمَدٍ[2].

ثم إن الحديث رواية البخاري وغيره من كتب الصحيح، ولكن الأستاذ الإمام ومَن على طريقته لا يُفَرِّقون بين رواية الإمام البخاري وغيره، فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه الإمام البخاري، كما أنه – لو صح في نظرهم – فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد لا يثبت به إلا الظن، وهذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السُّنَّة التي هي بالنسبة للكتاب في منزلة المبيِّن من المبيَّن»[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية(٨). (التفسير القرآني للقرآن)(١٦/١٧٤٢-١٧٤٥).
(٢) سورة الحجر الآية (٦).
(٣) التفسير والمفسرون للدكتور: محمد حسين الذهبي(٢/٤٢١).

موقف الأستاذ الخطيب من العقل:

يعتبر الأستاذ :الخطيب من رجال المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فعند تفسيره لسورة التوبة قال: «فالعقل الحديث الذي بَعُدَ عن الدّين إنما بَعُدَ عن تلك المعتقدات التي لا تثبت لأدنى نظر ينظر به إليها ، ثم يفرض عليه . مع هذا . أن يقبلها ، وأن يتعامل معها؛ لأنه لا بد له من دين يعيش به ويحيا معه ..فإذا وقف العقل من تلك المعتقدات هذا الموقف ، وإذا أبى أن يخضع خضوعاً أعمى لسلطانها . فذلك حق مشروع له، وإلّا فما كان لهذا العقل الذي ميّز الله الإنسان به عن عالم الحيوان وظيفة يؤديها للإنسان ، أو عمل يعمله في هدايته ، وكشف معالم الطريق له ، وخاصة في أهم شأن حيوي من شئونه ، وهو ما يمسّ الحياة الروحية منه»(١).

وعند تفسير الأستاذ الخطيب لقوله تعالى من سورة يونس: ثُمَّ مَدَدۡنَهُۥ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ قال الأستاذ الخطيب: « نلمح في وجه الآية الكريمة دعوة إلى البحث والنظر، وتقليب حقائق الأمور، وعرضها على العقل، ووزنها بميزانه قبل الأخذ بها، وألا يقبلها قبول استسلام وإذعان من غير اقتناع قائم على الدراسة والتأمل، ومهما كانت ثقة الإنسان في مصدرها، فإن هذا لا يحرم العقل حقه من النظر فيه نظر بحث وتفحص؛ إن الشك كما يقولون: هو أول مراتب اليقين..» (٢).

وعند تفسير الأستاذ الخطيب لقوله تعالى من سورة سبأ ثُمَّ مَدَدۡنَهُۥ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٥ / ٧٤٧).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١٠٨١)

هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ عَمَدٍ

قال الأستاذ الخطيب :«هذا هو عنوان الرسالة الإسلامية وهذا هو ملاك أمرها استخدام العقل، واحترام معطياته، وذلك بالتفكير الفردي والجماعي معاً تفكيراً حراً مطلقاً من كل قيد محرراً من تلقيات سابقة؛ فالعقل في مواجهة الرسالة الإسلامية محمول على أن يفكر، وأن يتحرك في جميع المجالات غير مقيد بشيء أو مشدود إلى شيء.. إن الرسالة الإسلامية لتغرى العقل إغراء على التفكير بما تنادى به من دعوات عالية إلى إيقاظ العقل ، وبما تقدّم إليه من صور، وما تفتح له من مجالات تدعو أكثر الناس بلادة وغباء إلى استخدام عقولهم ، واستدعاء تفكيرهم»[1].

مما سبق يتضح موقف الأستاذ: الخطيب من العقل، ومدى تأثره بالمدرسة العقلية الحديثة في تفسير القرآن الكريم.

موقف الأستاذ الخطيب من قضية التقليد والمقلدين:

لم يذكر الأستاذ: الخطيب كلمة التقليد في تفسيره إلا وقرنه بالْعَمَى بقوله «التقليد الْأَعمَى »، وعاب على المقلدين لأسلافهم بغير إعمال لعقولهم، وقال: إن التقليد هو السبب في جمود التشريع الإسلامي بالتزام الخطوة الأولى التي خطاها السلف في طريق هذا التشريع.

فعند تفسيره للآيات التالية من سورة البقرة: مُّمَدَّدَةٍ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١١ / ٨١٦).

تَعۡقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ عَمَدِ

قال الأستاذ الخطيب:« إن تفسير القرآن بدأ في عصر كانت فيه المرأة قد أخذت وضعاً جائراً في المجتمع؛ لكثرة ما ازدحم في عصور الخلفاء والأمراء والوزراء وأصحاب الجاه والثراء . من الإماء اللائي غلبن على الحرائر، واستأثرن بالنصيب الأوفر عند الرجال ، وبهذا صرن الوجه البارز للمرأة في هذا العصر في حين أصبحت المرأة الحرة في بيت الرجل شيئاً كمالياً لا يراد منه غير أن يكون للرجل امرأة ، يكون له منها الولد أو الأولاد! وحين أخذ المفسرون ينظرون في كتاب الله ﷻ، وفي الآيات التي تمسّ المرأة ، وتقرر الأحكام التي تربط بينها وبين الرجل، وتحدد مالها من حقوق وما عليها من واجبات . حينئذ كانت نظرة المفسرين إلى المرأة واقعة على هذه الصورة الشائهة لها ، المعزولة عن الوضع الصحيح الذي أقامتها الشريعة عليه..ومن هنا كان تأويل آيات الكتاب الكريم واقعاً تحت هذا المفهوم الجديد للمرأة متأثراً به ، مقدوراً بقدره! »[1].

وعاب الأستاذ: الخطيب على المقلدين وقال: «وقد جاء الفقهاء على آثار المفسّرين فنظروا من وراء نظرتهم، وبنوا أحكامهم على أساس تلك النظرة، فبخسوا المرأة حقّها وأزالوها عن تلك المنزلة التي رفعها الإسلام إليها ، وأعادوها إلى أنزل من الوضع الذي كانت عليه في الجاهلية.

والشيء الذي يلفت النظر في هذا هو أن كلمة المفسّرين الأولى في تأويل كتاب الله كانت طريقاً سلكه كل من جاء بعدهم فنظر بنظرهم ، وأخذ مأخذهم إذ وجد من الحرج أن يعيد نظره فيما نظر فيه السلف الذين كانوا أقرب إلى عصر النبوة وإلى تنسّم أنسامها الطيبة.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن(٢٩٣/١).

والحقّ: أن هذا الشعور قد حجز كثيراً من العقول عن أن تتصل بكتاب الله، وبالسنة المطهرة اتصالاً مباشراً غير واقع تحت تأثير هؤلاء السّلف الذين اجتهدوا فأخلصوا الاجتهاد ولكن لا عليهم أن يجتهد غيرهم ، بل لم يكن في تقديرهم أن يقولوا ثم لا يكون لغيرهم مقالٌ فيما قالوا!

والسبب في جمود التشريع الإسلامي؛ يرجع في الواقع إلى هذا الشعور الذي دخل على العلماء والفقهاء من التزام الخطوة الأولى التي خطاها السلف في طريق هذا التشريع الذي كان من طبيعة الأمور ومن معطيات الأصول التشريعية له . أن تتبع هذه الخطوة بخطوات ، ممتدة امتداد الزمن متفتحة على مسالك الحياة مسايرة لسيرها!! وأحسب أنه لو تخففنا من هذا الشعور إلى الحدّ الذي يسمح لنا بحرية الحركة ، واستقلال النظرة لوجدنا بين أيدينا التشريع الإسلامي الذي يقيمنا على أوضاع سليمة مستقرة في حياتنا المادية والروحية ، وفي نظمنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولكانت صحبتنا للدين صحبة نأنس بها، ونطمئن إليها ونثق فيها ، ولذهب ما بيننا وبين الدين من جفوة ، ولتحولت نظرتنا تلك الفاترة الضائعة في اتصالنا به إلى نظرة حيّة واثقة من أنها إنما تنظر إلى الحياة كلها ، وإلى أجمل ما في هذه الحياة حين تنظر في هذا الدين ، وتقيم حياتها عليه! وأكثر من هذا . فإننا لو ذهبنا نأخذ شريعتنا من مصدرها الأول . الكتاب والسنة . لوجدنا أن كثيراً من القضايا الهامة في حياتنا التي جاءت إلينا باسم الدين، وصارت وجهاً من وجوهه، ومادة من مواد دستوره»[1].

قلت: يرى الأستاذ الخطيب أن التقليد حجز العقول أن تتصل بكتاب اللهﷻ وبسنة، رسوله ﷺ وكأنه يريد أن يقول:إن التقليد بغير عقل ولا هداية

---

(١) التفسير القرآني للقرآن(١/٢٩٤-٢٩٥)

لا ينفع، وأن الإنسان لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به وحده بغير اهتداء بأسلافه!!

موقف الأستاذ الخطيب من الاجتهاد في تفسيره:

أولاً: لم يتقيد الأستاذ: الخطيب بأقوال المفسرين، والنحاة في تفسير القرآن الكريم، حتى وإن كانت أقوالهم إجماعاً أو شبه إجماع ، وهذا النوع كثير وشائع في التفسير القرآني للقرآن، فعند تفسيره لسورة النساء قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ عَمَدِ

قال الأستاذ الخطيب: « وقد كثرت في هذا آراء المفسرين والنحاة .. ولم نرَ فيما قاله هؤلاء وهؤلاء وجهاً نستريح له ونرضى به ونطمئن إليه .. إذ كلها محاولات لتسوية هذا التخالف الذي يبدو وكأنه تناقض وخروج على أساليب العرب ، ومألوف كلامهم .. وكأنهم . أي المفسرين والنحاة . يلتمسون المعاذير للقرآن لهذا الخلل الذي ظهر فيه هنا.!!وللقرآن الكريم ، أن يكون متفقاً مع قواعد النحاة أو مخالفاً لها جارياً على ما عرف من أساليب العرب أو خارجاً عنها .. وعلى النحاة أن يصححوا نحوهم عليه ، وعلى الأساليب العربية أن تستقيم على ما طلع عليه بها القرآن من أساليب جديدة، وأن تجعلها من مذخورها الذي تحرص عليه ، وتثرى باقتنائه وتعتزّ به، فلنتحرر إذن من قواعد النحو ، وأساليب العرب حينما نستقبل جديداً من أساليب القرآن وإعجازه ، ولنلقه بقلوبنا لقاءنا لمعجزة قاهرة متحدية ..ونعم فإننا بين يدي كل آية من آيات الكتاب الكريم في مواجهة معجزة متحدية لا تكشف لنا عن وجهها إلا بعد توقف ونظر .. ولكنا حين نكون بين يدي آية تطلع علينا بأسلوب غير مألوف من أساليب العربية، وغير جار على مقررات

النحاة وقواعد النحو . فإننا نكون حينئذ في مواجهة آية تكشف لنا عن وجه من وجوه إعجازها ، وتدعونا إليها ، وتحملنا حملاً على النظر في وجهها.

فهنا في هذه الآية .. دعوة صريحة، وإشارة مضيئة إلى كلّ من يلتقي بهذه الآية الكريمة أن يقف عندها ، وأن يدبر النظر فيها ، وأن يسأل نفسه كل تلك الأسئلة التي سألها المفسرون والنحاة عند ما التقوا أو يلتقون بكلمة : ﴿ٱلْمُقِيمِينَ﴾ لماذا خالفت نسق ما قبلها؟

ولماذا تخالف نسق ما بعدها؟ولعلنا لا نقف طويلاً عند الإجابة عن السؤال الأول .. إذ نجد الجواب حاضراً قريباً ، وهو أنه ليس بين هذه الكلمة وما قبلها صلة عطف، وأن « الواو » التي تسبقها ليست واو عطف، وإنما هي للاستئناف .. إذ قد تمّ الكلام قبلها ، واستؤنف بها كلام جديد ، لتقرير حكم جديد ..ويبقى بعد ذلك الجواب عن السؤال الثاني .. وهو الذي يحتاج إلى طول نظر، وكثير تأمل! وأقلّ ما تخرج من بعد هذا النظر الطويل، وهذا التأمل الكثير هو :

١- قطع ما بعد الواو في قوله تعالى : ﴿ٱلْمُقِيمِينَ﴾ عما قبلها إذ كان لما قبلها شأن ، ولما بعدها شأن آخر .. و لو لم يلقنا هذا التخالف في نظم الآية لما وقفنا عند تلك الكلمة ، ولربّما داخلنا شعور . من حيث لا ندرى . أن الآية الكريمة نسق واحد تنتهي إلى حكم واحد هو ما ختمت به الآية في قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ .

٢- ترديد كلمة ﴿ٱلْمُقِيمِينَ﴾ والدوران حولها، والبحث عن الوجه الذي تنتظم فيه بما قبلها أو بعدها .. وفي هذا الترديد لتلك الكلمة، والتحديق الطويل فيها . ما يربط الشعور بها، ويشدّ العقل إليها، ويشغل التفكير بها .. وذلك من شأنه أن يقيم الصلاة مقاماً مكيناً في كيان المؤمنين الأمر الذي يجب أن يكون للصلاة إذ هي عمود الدّين ، وركنه الركين ..من

أقامها فقد أقام الدين ، ومن ضيعها فقد ضيّع الدين .

والسؤال هنا ..ما الوجه النحوي الذي يستقيم عليه الرأي في هذه الكلمة؟ وهل هي منصوبة على الاختصاص، أو معطوفة على معمول الباء في قوله تعالى: مُّمَدَّدَةٍ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ عَمَدٍ أي ويؤمنون بالمقيمين الصلاة .. رفعاً لشأن الذين يقيمونها، وأنهم معلم من معالم الإيمان ؟

أما نحن فإنا لا نُورد هذا السؤال، ولا نتصدّى للإجابة عليه، وإنما نتقبّل الأسلوب القرآني دون أن نجد فيه علة تدعو إلى كشف، أو غموضاً يحتاج إلى بيان!! وغاية ما يمكن أن نقوله هو: أن هذا هو أسلوب القرآن، وعلى النحو أن يصحح قواعده عليه، وعلى البلاغة أن تضبط موازينها به!» [1].

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٣ / ١٠٠٨-١٠٠٩)

المبحث الأول

التعريف بصاحب هذا التفسير

إن الحديث عن منهج أي مفسر يفرض علينا أولاً التعريف بالمؤلف ونشأته، وحياته العلمية ومؤلفاته، ووفاته. وكتابه(تفسيره) هل هو مطبوع أو مخطوط؟،وهل طبع أكثر من طبعة؟ وما هي الطبعة التي اعتمدتُ عليها في بيان منهجه؟ ثم بعد ذلك الحديث عن منهج المفسر من خلال مقدمة تفسيره وقرأتي فيه، وسبب تأليفه لهذا التفسير، ومواقفه في تفسيره..الخ.

التعريف بمؤلف هذا التفسير[1]:

مؤلف هذا التفسير هو عبد الكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب، مؤلف فاضل، ومفسر ضليع، أدى خدمات كبيرة في مجال الثقافة الإسلامية لاسيما فيما يتعلق بجانب تفسير القرآن الكريم. ولد في السابع عشر من شهر مايو سنة «١٩١٠م»؛ببلدة «الصوامعة غرب» مركز طهطا، مديرية جرجا، محافظة سوهاج – حالياً.

نشأ الأستاذ: عبد الكريم الخطيب في أسرة تعتز بالعروبة؛ لأن أسرته كانت فرعاً من فروع القبائل العربية التي جاءت إلى مصر مع الفتح الإسلامي، وتعلم–الأستاذ الخطيب– في كُتَّاب القرية، وحفظ القرآن الكريم كله، ثم التحق بالمدرسة الأولية في القرية التابعة لمصلحة السكة الحديد وأتم دراسته بها.. ثم التحق بمدرسة المعلمين بسوهاج سنة «١٩٢٥م» وتخرج من هذه المدرسة «١٩٢٨م»، وعمل مدرساً بالمدرسة الأولية.. ثم حصل على شهادة «البكالوريا »من تجهيزية دار العلوم، وبهذا تمكن الأستاذ

---

(١) وقفتُ على ترجمة الأستاذ: عبد الكريم الخطيب في كتاب: (عبد الكريم الخطيب والثقافة الإسلامية) للأستاذ : السيد أبو ضيف المدني طبعة: دار الفكر العربي(١٩٧٩م).

الخطيب من الالتحاق بمدرسة العلوم- كلية دار العلوم حالياً- وتخرج منها سنة « ١٩٣٧م»، وبعد تخرجه من دار العلوم اشتغل مدرساً بالمدارس الابتدائية بالتعليم الحر ، ثم نجح في امتحان المسابقة الذي أجرته وزارة المعارف العمومية – وزارة التربية والتعليم الآن- فعين مدرساً للغة العربية بمدرسة الصنائع بسوهاج ،ثم نُقل منها إلى مدرسة المعلمين بمحافظة قنا سنة «١٩٤٠م»،ثم نُقل من محافظة قنا إلى مدرسة المعلمين بمحافظة أسيوط «١٩٤١م»، ومنها إلى مدرسة المنيرة الابتدائية بمحافظة القاهرة سنة «١٩٤٢م»، وبقى في التدريس بالمدرسة السعيدية إلى سنة«١٩٤٦م»؛ حيث اختار الأستاذ/ علي عبد الرازق باشا ؛ الأستاذ / عبدالكريم الخطيب سكرتيراً برلمانياً له، وظل الأستاذ/ الخطيب بهذه المكانة إلى أن أُحيل على المعاش بالطريق التأديبي بقرار جمهوري، بعد أن ظل معتقلاً في السجن الحربي من التاسع من شهر فبراير سنة «١٩٥٩م » إلى يوم العشرين من شهر أكتوبر «١٩٥٩م»[(١)].

وقد أتاحت له فرصة الفصل من الأعمال الحكومية ؛ الاتصال الدائم بالكِتَاب قراءة ودراسة؛ كما أفسحت له من الوقت ما مكنه من مراجعة كثير من الموضوعات التي كان يعالجها ، ثم يدعها قبل أن تنضج وتكتمل؛ كما أخرج الأستاذ/ الخطيب مجموعة من المؤلفات في الدراسات الدينية، والأدبية،

---

(١) قال السيد أبو ضيف المدني : وقد سألت الأستاذ: عبد الكريم الخطيب عن السبب فأجاب: «بأنه أريد له ولزملاء معه في الوزارة أن يشهدوا ضد أحد وزراء الأوقاف شهادة باطلة، فرفضوا ،وأصروا على رفضهم فاعتقلوا» نقلاً عن كتاب:(عبد الكريم الخطيب والثقافة الإسلامية) للأستاذ: السيد أبو ضيف المدني (ص١٤) ط: دار الفكر العربي، وينظر:(مع رجال الفكر في القاهرة)المؤلف:السيد مرتضى الرضوي(٣٣٨/١) وما بعدها، وينظر:(إتمام الأعلام) ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي للدكتورين: نزار أباظة، ومحمد رياض المالح(ص١٦٤)طبعة:دار صادر بيروت(١٩٩٩م).

هذا إلى جانب المئات من المقالات في الصحف، والمجلات المصرية، والعربية، وإلى مئات الأحاديث الدينية في الإذاعة، والتليفزيون في مصر، وفي المملكة العربية السعودية؛ حيث عمل أستاذاً للدراسات العليا -بكلية الشريعة في الرياض في عامي«١٩٧٤م-١٩٧٦م»؛ كما أتاح له عمله في وزارة الأوقاف فرصة الاطلاع على أحوال المسلمين في بعض الأقطار الإفريقية التي زارها مثل«ليبريا»، و«السنغال»، وكانت باكورة مؤلفاته كتابه «الدعوة الوهابية ».

يقول الأستاذ الخطيب:« كان هذا الكتيب الذي أخرجته عن الدعوة الوهابية وداعيها باكورة مؤلفاتي التي جاوزت بعد هذا أربعين مؤلفاً ..».

مؤلفاته:

ومن أهمها:الدعوة الوهابية، والتفسير القرآني للقرآن وهو ما نحن بصدده، وإعجاز القرآن، والقصص القرآني، والخلافة والإمامة في الإسلام «ديانة وسياسة»، والنبي محمد «نبي الإنسانية» و«نبي الأنبياء»، وعلي بن أبي طالب، وتفسير سورة الرحمن، ومن قضايا القرآن«ستة عشر كتاباً»، قضية الألوهية بين الفلسفة والدين-الله ذاتاً وموضوعاً، والله.. والإنسان-، والإسلام في مواجهة العصر وتحدياته، وقضية فلسطين، وعمر بن الخطاب «الوثيقة الخالدة للدين الخالد»، والسياسة المالية في الإسلام، والدعاء المستجاب، والإنسان في القرآن، والإنسان والشيطان[1].

وفاته: توفي الأستاذ الخطيب سنة (١٩٨٥م).

---

(١) طبعت جميع المؤلفات بدار الفكر العربي-بيروت ، والمكتبات الشهيرة في العالم العربي.

وصف تفسير الأستاذ الخطيب:

هذا التفسير من كتب التفسير الطويلة التي توسعت في تفسير القرآن الكريم، وقد طُبع هذا التفسير في ستة عشر جزءاً من الحجم المتوسط ، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم من أول تفسير سورة الفاتحة إلى آخر تفسير سورة الناس، متداول بين أهل العلم.

وقد اعتمدت على بيان منهجه على طبعة: دار الفكر العربي –بيروت، ولم أقف على طبعة أخرى لهذا التفسير، واسم التفسير هو الذي سماه به مؤلفه الأستاذ الخطيب رحمه الله هو: (التفسير القرآني للقرآن)، وعنوانه يشير إلى أن المفسر قد التزم بالمصدر الأول من مصادر التفسير بالمأثور، وهو تفسير القرآن بالقرآن أي أن القرآن يفسر بعضه بعضاً لكن حينما طالعت التفسير لم أجد ذلك!!

مقدمة التفسير:

بدأ الأستاذ الخطيب تفسيره بقوله«بسم الله الرحمن الرحيم– تقديم– الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين.

باسم الله نستفتح خزائن علمه، ونطرق أبواب حكمته ، وبحمد الله نستقبل مواطر[1] فضله ، ونرجو المزيد من غيوث رحمته..وبالصلاة والسلام على رسول الله نتزود بخير زاد، في صحبتنا لكتاب الله، الذي نزل به الروح الأمين على قلبه، هدى ورحمة للعالمين! فسبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك وتعالى جدك، والصلاة والسلام على النبي الأُمي الذي بعثته في

---

(١) مواطر جمع الماطرة: ذات المطر.(مقاييس اللغة)(١٥٩/٢)باختصار.

الأميين رسولاً يتلو عليهم آياتك ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فحمل الأمانة، وأدى الرسالة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أجلى غواشي[1] الشرك من القلوب ، وقشع[2] ضلالات الجهل عن العقول، وغزا بالقرآن أمة ركبها الضلال، واستبد بها العمى، فصابها بصوب حكمته، وأدبها بأدب نبوته، وصاغها صياغة جديدة، فإذا هي أمة غير الأمة، وناس غير الناس، حتى لقد استأهلت أن تلبس هذا الوصف الكريم الذي وصفها الله به في كتابه الكريم إذ قال سبحانه : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3]!

فالأمة الإسلامية هي أمة القرآن إليه يرد أصلها، وبه يعرف نسبها، ومنه نسجت وتنسج ما لبست وتلبس من حلل العزة والكرامة والسيادة.. الخ»[4].

قدم الأستاذ الخطيب لتفسيره بمقدمة ذكر فيها: دراسات حول القرآن، وذكر منها: المكي والمدنيّ، وتعريفهما، وذكر السّور المكية في القرآن الكريم إجمالاً، وكذلك السور المدنية، وذكر عدد سور القرآن الكريم، وعدد آياته، وكلماته، وحروفه.

ويذكر عند تفسيره لكل سورة نزولها وهل هي مكية أو مدنية؟ وعدد آياتها، وعدد كلماتها، وعدد حروفها، وإذا كان للسورة أكثر من اسم ذكره، ثم بعد ذلك يذكر الوحدة من الآيات القرآنية؛ ثم يقوم بتفسيرها تحت عنوان التفسير[5] .

---

(١) أي:أغطية .(تاج العروس)(١٦٥/٣٩)
(٢) أي: كشف.(مقاييس اللغة)(٨٨/٥)باختصار.

(٣) سورة آل عمران جزء الآية(١١٠).
(٤) التفسير القرآني للقرآن(٣/١).
(٥) التفسير القرآني للقرآن (١ / ١٨) عند تفسيره لسورة الفاتحة.

السبب في تأليفه لهذا التفسير:

يقول الأستاذ الخطيب في كتابه«في طريق الإسلام» في معرض حديثه عن العقلية الفلسفية التي سيطرت على الفكر الإسلامي في القرن الثالث الهجري وما بعده حتى تناولوا الشريعة بالتشريح الفقهي بمنطق صارم لا هوادة فيه مبيناً نتائج هذا الأسلوب الذي نجمت عنه الصراعات والخلافات المذهبية ، وامتد ذلك إلى كثرة التأويلات في القرآن والحديث.

يقول الأستاذ الخطيب في هذا المعنى:«ففي مجال النظر في (كتاب)[1] كثرت التفاسير الغريبة الشاذة، وظهرت فيه الجراءة على الحق، وصار للقرآن ظاهر وباطن يأخذ به بعض، ويدعه بعض، ومن ثم قد تواردت على الآية الواحدة من كتاب الله عشرات الآراء المختلفة التي لا يلتقي فيها رأي برأي من بعيد أو قريب، وقل إن سلمت آية من كتاب الله من هذا الخلاف الشديد الذي باعد ما بين المسلمين، وجرى أمورهم على غير هدى، فالشيعة يفسرون القرآن حسب الذي يؤيد وجهة نظرهم.. وأهل السنة يردون على الشيعة آراءهم ويرمونهم بالكذب والافتراء على الله ورسولهﷺ، والخوارج يأخذون من القرآن الجانب الذي يتسع لمذهبهم، ويؤيد رأيهم في الإسلام والمسلمين جميعاً، والمعتزلة لهم نظر في القرآن لا يلتقي مع غيرهم من هذه الطوائف من قريب أو بعيد، وهكذا صار لكل طائفة قرآنها الذي تنظر فيه وتعمل به» [2].

وقد أدت هذه الخلافات المذهبية؛ كما أدى التعويل على الفقه تعويلاً كاملاً أدى هذا وذاك –كما يقول الأستاذ الخطيب في مقدمة تفسيره: « إن

---

(١) يقصد: القرآن الكريم.

(٢) عبد الكريم الخطيب والثقافة الإسلامية؛ للسيد أبو ضيف المدني (ص ٧١-٧٢) باختصار.

كل حظ المسلمين اليوم من القرآن هو حظهم من مخلّفات الآباء، والأجداد ، مما تضمه المتاحف، ودور الآثار ، يزورونها لماماً، ويطرقونها حيناً بعد حين .. »[1] إلى أن قال الأستاذ الخطيب: «والسبب في هذا يرجع . في تقديرنا . إلى «تميّع العقيدة الدينية في نفس المسلم»، وإلى اختلاط كثير من مسائلها في تفكيره، وعدم وضوح المعالم، والحدود لكثير من أمور الدين عنده! وذلك يرجع إلى أمور كثيرة منها :-

أولاً: الخلافات السياسية والمذهبية التي وقعت بين المسلمين منذ أعقاب الخلافة الراشدة، فانعكست آثار هذه الخلافات على المسائل الدينية، فجاءت تلك المسائل على وجوه كثيرة متناقضة متضاربة، يلطم بعضها وجه بعض، بحجج تسندها آية من كتاب الله متأولة على غير وجهها، أو حديث ضعيف، أو أثر مكذوب .. فتجد كل هذه الأقوال منطقاً يقيمها أو ذكاء يدارى عوارها بما دخل المسلمين من مذاهب الجدل والسفسطة[2] منذ قيام الدولة العباسية، واتصال العرب والمسلمين بالثقافات والديانات الأخرى التي كانت تصبّ روافدها المتدفقة في كيان الأمة العربية، وفي محيط العقل الإسلامي، وكان من هذا أن تشعبت مسائل الدين بين الطوائف المختلفة اختلافاً دينياً سياسياً، والتي انقسمت كل طائفة منها على نفسها، فكانت فرقاً تبلغ المئات عداً..وقد ذهبت كل فرقة في الدين مذهباً، وأقامت لمذهبها حجته من كتاب الله، وسنة رسول الله .. وهذا هو أفدح ما في الأمر، وأشنع ما في هذا الخلاف! فالمسألة الواحدة من مسائل الدين تأخذ دورة طويلة لا تكاد تنتهي أبداً ، فلا يكاد المسلم يمسك منها بطرف حتى تجره جراً إلى مسائل كثيرة تتولد منها وتتفرع، وتبيض وتفرخ، وإذا هو أمام عشرات من الصور «المهزوزة» للأمر

---

(١) يريد عصر الترجمة الذي ترجمت فيه كتب الفلسفة إلى اللغة العربية.
(٢) التفسير القرآني للقرآن (١ / ٨).

الواحد، والمسألة الواحدة .. تتراقص في محيط تفكيره ؛ كما يتراقص الشبح في ضوء مصباح ، عبثت بذبالته الريح .. في يوم عاصف! وهذا ما نجده في كل أمر من أمر ديننا نرجع فيه إلى الفقه الإسلامي الذي صادف تدوينه تلك الفترة التي تمزقت فيها الوحدة الإسلامية، وتمزق معها العقل الإسلامي! »[1].

ثانياً: «التعويل على هذا الفقه تعويلاً كاملاً، وربط المسلمين به ربطاً محكماً حتى أصبح دستور الشريعة الإسلامية وترجمان كتابها الكريم..وتعلّق أكثر العلماء والفقهاء بهذا الفقه أكثر من تعلقهم بكتاب الله نفسه..فهم يرجعون في كل أمر يعرض لهم إلى مقولات المذاهب الفقهية في كل داعية من دواعي الحياة يراد للدين أن يزنها بميزانه، ويقيسها بأحكامه! وطبيعي أنه إذا جاء رأى ديني من محصّل هذا النظر القائم على مقولات المذاهب الفقهية المتضاربة المتخالفة، فجاء المرء مذعوراً قلقاً يموج في أخلاط من الآراء المتناقضة والأقوال المتخالفة لا يكاد المرء يعرف منها وجهاً من ظهر؛ من أجل هذا « تميّعت » مسائل الدين .. والقرآن ـ من غير شك أو جدال ـ هو مصدر الشريعة الإسلامية ، وهو دستورها القائم أبد الدهر..وقد استغنى به المسلمون في الصدر الأول للإسلام فأغناهم عن كل شيء..فلا يمدون أبصارهم إلى غيره، ولا يأخذون لدينهم ودنياهم إلا بما توحي به إليهم كلماته، وتومئ به إليهم آياته! وطبيعي أن هذا الذي نقوله عن كتاب الله ، نقوله كذلك فيما ثبت من سنة رسول الله ﷺ القولية والفعلية إذ كانت السنة المطهرة تطبيقاً شارحاً لكتاب الله، وفي هذا يقول الله تعالى :مُّمَدَّدَةٍۗ وَمَآ ءَانَسَكُمُ

---

(١) مقدمة التفسير القرآني للقرآن (١ /٨ ـ٩) باختصار.

ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴿١﴾، ولا يستقيم هذا القول الذي نقوله في القرآن . بأنه مصدر التشريع الإسلامي . إلّا بفهم سليم صحيح لكتاب الله ، ولا يكون هذا الفهم السليم الصحيح إلا عن طول تأمل، وتدبر لكتاب الله ، وتذوق لأساليب بيانه ، ووقوف على بعض أسراره.

و بهذا الفهم لكتاب الله ، يتحقق لنا أمران :

أولهما: اتصالنا بكتاب الله اتصالاً وثيقاً قائماً على معرفة به، وتذوق لجني طعومه الطيبة، وهذا مما يجعل لتلاوتنا للقرآن ، أو استماعنا لتلاوته أثراً في نفوسنا، ووقعاً على قلوبنا، وتجاوباً مع آدابه، واستجابة لنداءاته.. فيما يدعو إليه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

ثانيهما: تصور مسائل الدين تصوراً واضحاً محدداً بلا ذيول، ولا معلقات..وبهذا يعرف المسلم الحكم قاطعاً فيما أحل الله وفيما حرم؛ فيكون على بينة من أمره فيما يأخذ أو يدع من أمر دينه! » ﴿٢﴾.

فمما سبق يتضح لي أن السبب في تأليفه لهذا التفسير ما يلي :

١- أن الخلاف في تفسير القرآن باعد بين المسلمين، وجعل أمورهم على غير هدى.

٢- تعدد الفرق الإسلامية جعل لكل طائفة قرآنها الذي تنظر فيه، وتعمل به.

٣-أن كل حظ المسلمين اليوم من القرآن الكريم هو حظهم من مخلفات الآباء والأجداد.. والسبب في ذلك يرجع إلى: تمييع العقيدة الدينية في نفس المسلم، واختلاط الكثير من مسائلها في تفسيره، وذلك يرجع إلى

---

(١) سورة الحشر جزء الآية (٧).
(٢) مقدمة التفسير القرآني للقرآن (١/١٠ -١٢) باختصار وتصرف.

الخلافات المذهبية التي وقعت بين المسلمين منذ أعقاب الخلافة الراشدة؛ فانعكست آثار تلك الخلافات على المسائل الدينية فجاءت على وجوه كثيرة متناقضة، والتعويل على علم الفقه وحده تعويلاً كاملاً، وتعلق الكثير من العلماء والفقهاء به أكثر من تعلقهم بكتاب الله تعالى.

٤- يرى أن الفهم السليم الصحيح لا يكون إلا عن طول تأمل وتدبر لكتاب الله ﷻ وتذوق لأساليب بيانه، ووقوف على بعض أسراره وذلك يتحقق؛ باتصالنا بكتاب الله اتصالاً وثيقاً، وتصورنا لمسائل الدين بما ورد في القرآن الكريم وحده بغير ذيول ولا تعليقات.

منهجه في تفسيره:

ذكره الأستاذ الخطيب في مقدمة تفسيره بقوله : «.. ومن أجل هذا كانت صحبتنا هذه لكتاب الله على هذا الوجه الذي لا ننظر فيه إلى غير كتاب الله وإلى تدبر آياته بعيداً عن طنين[1] المقولات الكثيرة التي جاءت إلى القرآن من كل صوب وكادت تخفت صوته، وتغيم على الأضواء السماوية المنبعثة منه! إننا في صحبتنا هذه للقرآن لا نقيم نظرنا على غير كلماته وآياته ، ولا نخط على هذه الصفحات غير ما يسمح لنا به النظر في كلماته وآياته؛ إننا لا نفسر القرآن بالمعنى المعروف للتفسير في هذه الصحبة التي نصحب فيها كتاب الله .. وإنما نحن نرتل آيات الله ترتيلاً .. آية آية ، أو آيات آيات .. ثم نقف لحظات نلتقط فيها أنفاسنا المبهورة، لما تطالعنا به الآية أو الآيات من عجب، ودهش، وروعة ، ثم نمسك القلم ، لنمسك به على الورق بعض ما وقع في مشاعرنا من صور العجب والدهش والروعة ..

---

(١) طنين: رنين، وامتداد رنة صوت الجرس.(تكملة المعاجم العربية) لمؤلفه: رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه:محمَّد سَليم النعَيمي(٨١/٧) طبعة:وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية(٢٠٠٠م).

وإنها لصور باهتة بالنسبة للواقع الذي حملته تلك المشاعر .. فما أبعد الفرق بين الشعور المشتمل علينا ونحن بين يدي كلمات الله، وبين الكلمة التي تنقل هذا الشعور!! ولكنها ـ على أي حال ـ معلم من معالم الطريق إلى كتاب الله يمكن أن يجد فيه السالك نوراً ، ويزداد به المهتدى هدى..مُّمَدَّدَةٍ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ عَمَدٍ [1]مُّمَدَّدَةٍۢ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ عَمَدٍ[2]..وسلام على المرسلين ، والحمد للّه ربّ العالمين.

المؤلف: القاهرة في الثاني والعشرين من ذي القعدة «١٣٨٦هـ» في الثالث من مارس «١٩٦٧م» [3].

---

(١) سورة محمد الآية(١٧).
(٢) سورة البقرة جزء الآية(٢١٣)، وجزء الآية(٤٦).
(٣) التفسير القرآني للقرآن (١ / ١٢).

المبحث الثاني

موقفه من التفسير بالمأثور

تعريف التفسير بالمأثور:«اسم مفعول من أثرت الحديث أثراً من باب نقله ، والأَثَر بفتحتين : اسم منه ، وحديث مأثور أي منقول»(١).

وفي المعجم الوسيط:« المأثور:ما ورث الخلف عن السلف والحديث المروي»(٢).

فالتفسير بالمأثور يشمل على ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما صح عن الرسول ﷺ، وما ثبت عن الصحابة والتابعين ﷺ، بما فيه التوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.

فعند تفسيره لسورة الفاتحة قوله تعالى:ثُمَزَةٍ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي عَمَدٍ قال الأستاذ الخطيب: «..والمغضوب عليهم هم اليهود، وقد صرّح القرآن في غير موضع وفى أكثر من آية، بأنهم مغضوب عليهم من الله، فقال تعالى في سورة المائدة: ثُمَزَةٍ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ عَمَدٍ ، وليس وصف اليهود بالمغضوب عليهم مانعاً من إطلاق الوصف على كل من غضب الله عليه، فحاد عن الطريق المستقيم، وكذلك الشأن في «الضالين» باعتباره وصفاً لكل من ضل طريق الحق والهدى.وفى دعاء المؤمنين بأن يهديهم الله الصراط المستقيم، ويجنبهم صراط المغضوب عليهم، والضالين عن الطريق القويم- في هذا الدعاء غاية في تحرّى الطريق

---

(١) المصباح المنير للإمام: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (٤/١) طبعة:المكتبة العلمية-بيروت.

(٢) المعجم الوسيط(٦/١).

إلى الله، والتماسه مستقيماً خالص الاستقامة، بعيداً عن مزالق المفتونين في دينهم، والمنحرفين عن سواء السبيل[1]

قلت: نجد أن الأستاذ الخطيب فسر المغضوب عليهم باليهود، ولكنه لم يفسر الضالين بالنصارى، وفي ذلك مخالفة واضحة لحديث الرسول ﷺ ، فعن عدي بن حاتمﷺ أن النبي ﷺ قال: «المغضوب عليهم» اليهود، و«الضالين» النصارى» [2].

ولا شك أن ما ذكره الرسول ﷺ في التفسير هو ما عليه جُل المفسرين إلا أننا نجد الأستاذ الخطيب لا يهتم بأقوال المفسرين وإن وقف ضدهم جميعاً فيما يؤيد رأيه.

موقفه من أسماء السور:

تنقسم سور القرآن من حيث تعدد الاسم وعدمه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما له اسم واحد وهو أكثر سور القرآن مثل: النساء، والأعراف، الأنعام، مريم، وغيرها.

الثاني: ما له أكثر من اسم، ويشمل هذا النوع

سوراً لها اسمان كسورة (محمد)ﷺحيث تسمى (القتال)، وسورة (الجاثية) تسمى (الشريعة)، وسورة (النحل) تسمى (النعم) لما عدد الله فيها من النعم على عباده.

وسوراً لها ثلاثة أسماء مثل: سورة (المائدة) وتسمى (العقود) و(المنقذة)، ومثل: سورة (غافر) وتسمى (الطّوَل) و(المؤمن).

---

(١) التفسير القرآني للقرآن(٢٠/١)

(٢) أخرجه الإمام:أحمد في المسند (٣٧٥/٥) طبعة:مؤسسة الرسالة-بيروت. وقال المحققون: إسناده حسن ؛ من أجل سماك بن حرب، وباقي رجاله ثقات.

وسوراً لها أكثر من ثلاثة أسماء مثل: سورة (التوبة) ومن أسمائها (براءة)، و(الفاضحة)، و(الحافرة) وقال حذيفة: هي سورة (العذاب) وقال ابن عمر: كنا ندعوها (المشقشقة). وقال الحارث بن يزيد: كانت تدعى (المبعثرة) ويقال لها: (المسورة)ويقال لها: (البَحوث).

الثالث: أن تسمى عدة سور باسم واحد:

ومن ذلك تسمية البقرة وآل عمران بـ (الزهراوين) وتسمية سورتي الفلق والناس بـ (المعوذتين)، وتسمية السور المبدوءة بـ (حم) بـ (الحواميم) »[1].

قال الإمام السيوطي: «إن أسماء السور توقيفية من الأحاديث والآثار وهو الرأي الراجح»[2].

فعند تفسير الأستاذ: الخطيب لسورة الإسراء قال: «ومن أعجب الأعاجيب هنا، أن نجد لهذه السورة اسماً، يجعله المفسّرون من بعض أسمائها، على ما جرت به عادتهم من تكثير الآراء وحشدها للأمر الواحد.. فجعلوا من أسماء هذه السورة، اسم: «بني إسرائيل» وواضح أن هذا الاسم دخيل منتحل، تسلّل إلى المفسّرين وأصحاب السّير، فيما تسلّل من الإسرائيليات التي دسّها اليهود على هؤلاء العلماء، فقبلوها منهم بحسن نيّة..ولو كان لبنى إسرائيل أن تكون لهم سورة باسمهم في القرآن الكريم، لكانت سورة البقرة– مثلاً– أولى من الإسراء في هذا المقام، إذ كانت البقرة تحوى من أخبار بني إسرائيل، أكثر مما تحويه سورة الإسراء، ومع هذا فقد أخذت السورة اسم البقرة، وهى بقرة بني إسرائيل، ولم تأخذ اسمهم! الأمر الذي يحمل على القول بأنه مستبعد أصلاً أن يكون لبنى إسرائيل سورة باسمهم في كتاب الله، وإن كان لأبى لهب سورة باسمه!

---

(١)دراسات في علوم القرآن الكريم للدكتور:فهد الرومي(ص١٠٥) وما بعدها.
(٢) الإتقان في علوم القرآن(١٨٦/١) بتصرف يسير.

ومن جهة أخرى، فإنا نرى سوراً في القرآن فيها حديث مستفيض عن بني إسرائيل، كسورة الأعراف، وسورة طه، مثلاً، ومع هذا فلم تسمّ أي منهما سورة بني إسرائيل!! فلماذا كانت سورة «الإسراء» بالذات هي التي يدخل عليها هذا الاسم، وينازعها شرف هذه التسمية التي سميت بها تلك السورة؟»[1].

قلت: إن سورة الإسراء تسمى بسورة بني إسرائيل ، فعن عبد الرحمن بن يزيد ﷺ قال سمعت ابن مسعود ﷺقال: في بني إسرائيل، والكهف، ومريم؛ إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي[2].

وعن عبد الله بن مسعودﷺ قال: بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، هن من العتاق الأول وهن من تلادي»[3].

فتسمية سورة الإسراء بسورة بني إسرائيل ليست من تسمية المفسرين بل هي من تسمية الإمام عبد الله بن مسعود من أشهر الصحابة بالتفسير وأوسعهم فقهاً بالقرآن الكريم، وشهد ﷺ مع الرسولﷺ بدراً والمشاهد بعدها فكيف لا يأخذ الأستاذ: الخطيب بقول الإمام عبد الله بن مسعودﷺ في تسمية سورة الإسراء ببني إسرائيل!!

ومن المعلوم أن أسماء السور توقيفي ولا مجال فيه للاجتهاد..ولاشك أن

---

(١)التفسير القرآني للقرآن (٨/٤٠٦-٤٠٧)

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه(ك):التفسير (ب):سورة بني إسرائيل الإسراء (٤/١٧٤١).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه(ك):التفسير (ب):سورة الأنبياء (٤/١٧٦٥)
العتاق: جمع عتيق وهو كل شيء بلغ الغاية في الجودة. والمراد :تفضيل هذه السور لما يتضمنه كل منها من أمر غريب خارق للعادة كالإسراء، وقصة أصحاب الكهف، وقصة حمل مريم عليها السلام ونحو ذلك .
تلادي: محفوظاتي القديمة، والتالد والتلاد كل ما كان قديماً . (تعليق الدكتور: مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري بالهامش)(٤/١٧٤١).

الأستاذ الخطيب أعطى لعقله الحر الحرية الواسعة في اجتهاده برد اسم السورة- بني إسرائيل- وقال أن الأولى بهذه التسمية هي سورة البقرة ، ولو أنه التزم بنص الحديث الصحيح الوارد في شأن تسميتها بهذا الاسم- بني إسرائيل- لكان أولى، ولكنه اعتبره دخيلاً منتحلاً.. تسلّل إلى المفسّرين وأصحاب السّير فيما تسلّل من الإسرائيليات ، التي دسّها اليهود على هؤلاء العلماء فقبلوها منهم بحسن نيّة.

موقفه من علم المكي والمدني:

يقول الدكتور محمد بكر إسماعيل: « للعلماء في معنى المكي والمدني ثلاثة اصطلاحات

الأول – وهو الأولى والأشهر : أن المكي ما نزل قبل هجرته ﷺإلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة.

وهذا التعريف جامع مانع روعي فيه زمان النزول، وهو أولى من رعاية المكان؛ لأن معرفة التدرج في التشريع ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وغير ذلك من الفوائد متوقفة على معرفة المتقدِّم والمتأخِّر في الزمان، لهذا كان هذا التعريف هو المعتمد عند أكثر أهل العلم.

الثاني من المصطلحات: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في مكة ضواحيها؛ كالمنزَّل على النبي ﷺبِمِنَى وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها أيضاً، كالمنزَّل عليه في بدر وأحد، وهذا التقسيم لوحظ فيه مكان النزول.

وهذا التعريف لما روعي فيه المكان لم يكن ضابطًا صحيحًا لاختلاف الأماكن التي نزل فيها القرآن، بخلاف التعريف الأول، فإنه يحدِّد المكي بزمان معين، وهو ما قبل الهجرة، ويحدِّد المدني بزمان معين، وهو ما كان

بعد الهجرة، ونحن نعلم أن من القرآن ما لم ينزل بمكة ولا بالمدينة بل أنزل بأماكن أخرى متباعدة.

الثالث : أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة.

وهذا التعريف غير ضابط؛ لأنه لوحظ فيه المخاطبون، فإن في المكي ما صدر بـ « يا أيها الذين آمنوا » ، وفي المدني ما صدر بـ « يا أيها الناس » ، وفيهما ما لم يصدر بإحداهما[1].

فنجد أن الأستاذ الخطيب أعمل عقله في هذه الأقوال وقال : « المكي من القرآن ما نزل بمكة ، والمدني ما نزل بالمدينة، ورجح هذا القول »[2].

إن الأستاذ الخطيب اهتم بعلمي المكي والمدني، فعند تفسيره للسورة القرآنية يذكر مكية السورة ومدنيتها والراجح فيها، وإن كانت السورة مكية ، وبها آيات مدنية أو العكس نبه على ذلك [3].

موقفه من علم أسباب النزول:

يقول الإمام الواحدي:«ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدُوا في الطلب» [4].

اهتم الأستاذ الخطيب في تفسيره بذكر أسباب النزول ،ولم يكتف بذكر السبب بل كان يُعمل عقله ويعلق عليه ،وإذا ورد أكثر من سبب رجح بينهما

---

(١) دراسات في علوم القرآن للدكتور: محمد بكر إسماعيل طبعة: دار المنار (١٩٩٩ م).
(٢) التفسير القرآني للقرآن(١٣/١).
(٣) ينظر التفسير القرآني للقرآن (٤ / ١١٦) عند تفسيره لسورة الأنعام.
(٤) أسباب النزول للإمام: الواحدي النيسابوري (ص٤) طبعة : مؤسسة الحلبي (١٩٦٨ م).

.[1]

ويتضح ذلك في الآيات التالية؛ فعند تفسيره لقوله تعالى من سورة مريم:

مُّمَدَّدَةِۢ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ عَمَدٍ

قيل: إن هذه الآية نزلت في بعض مشركي قريش، ولم يتفق المفسّرون على واحد بعينه قيل فيه هذا القول، وهذه الروايات المتعارضة المتضاربة في أسباب النزول تدعونا إلى أن نسقط هذه الآراء جميعها، ولا نأخذ بواحد منها؛ إذ أن ذلك يعد ترجيحاً بلا مرجّح! والذي نطمئن إليه هو: أن الآية تشير إلى الرجل صاحب الجنتين ، الذي جاء ذكره في سورة الكهف في قوله تعالى: مُّمَدَّدَةِۢ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ژفالآية إلفات إلى قصة هذا الرجل ، وقد سمعها المشركون من قبل ، فيما كان يتلوه النبيﷺ عليهم من آيات ربّه .. وهذا يعنى أن سورة مريم ، قد نزلت متأخرة عن سورة الكهف[2].

قلت: لقد ذُكر سبب نزول قوله تعالى من سورة مريم: مُّمَدَّدَةِۢ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ عَمَدٍ في صحيح الإمام البخاري عن مسروقﷺ قال سمعت خباباً ﷺ قال: جئت للعاصي بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺفقلت: لا حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لميت ثم مبعوث ؟ قلت: نعم. قال: إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيكه فنزلت هذه الآية [3] .

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٨ / ٧٦٧) عند تفسيره لسورة مريم الآية(٧٧).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٨ / ٧٦٧).
(٣) أخرجه الإمام البخاري في(ك): التفسير. (ب): سورة مريم (٤/١٧٦٠).

وربما والله أعلى وأعلم: أن الأستاذ الخطيب لم يعتمد على كتب الحديث في معرفة سبب النزول، ولكنه أخذه بصيغة التمريض من كتب التفسير.

ويتضح أنه ربط آية سورة مريم بآية سورة الكهف ارتباطاً عقلياً؛ لا يستند فيه إلى نص شرعي بل دليل عقلي.

وأما قوله «أن سورة مريم ، قد نزلت متأخرة عن سورة الكهف :فالصواب أن التي نزلت أولاً سورة مريم، ثم الكهف على حسب ترتيب النزول [1].

ولاشك أن تأويله للآية تأويل بعقله الحر بعيد عما صح من الأحاديث في سبب نزولها.

موقفه من أول ما نزل و آخر ما نزل:

إن معرفة فوائد أول ما نزل وآخر ما نزل، مع معرفة المكي والمدني فوائد كثيرة نذكر منها ما يلي:

أولاً: تمييز الناسخ من المنسوخ:وذلك حين ورود آيتين بحكمين مختلفين فإن معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل تعين على معرفة الناسخ من المنسوخ، ومثال ذلك قوله تعالى في عدة المرأة المتوفى عنها زوجها من سورة البقرة: ﴿مُّمَدَّدَةٍ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ عَمَدٍ فقد بينت هذه الآية أن العدة عامة، وقوله تعالى: ﴿مُّمَدَّدَةٍ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ عَمَدٍ

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي(٤٣/١).

جعل العدة أربعة أشهر وعشراً، وإذا عرفنا أن هذه الآية هي آخر ما نزل عرفنا أنها هي الناسخة.

ثانياً: معرفة تاريخ التشريع الإسلامي وتدرجه الحكيم في التشريع، مثل التدرج في تحريم الخمر والمراحل التي مر بها تحريمه، وكيف تمت مراعاة أحوالهم حيث اعتادوا شرب الخمر، لا يكاد يخلو منها بيت؟ وكيف تدرج في علاج هذه المشكلة حتى خرجوا إلى بر الأمان والسلامة والإسلام بحكمة بالغة؟

ثالثاً: الاستعانة بمعرفة أول ما نزل، وآخر ما نزل في تفسير القرآن يهدي إلى التفسير السليم، واستنباط الحكم الصحيح.

رابعاً: تذوق أساليب القرآن الكريم والاستفادة من ذلك في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى حيث يكون بأسلوب لتقرير حكم، ثم يختلف الأسلوب لتقرير حكم آخر بالوعد مرة والوعيد أخرى، وبالترغيب أو الترهيب، أو بالتخيير أو الإلزام حسب ما يناسب الحال.

خامساً: معرفة السيرة النبوية وترتيب أحداثها حسب حديث القرآن عنها، ومتابعة أحوال الرسول ﷺ ومواقفه في الدعوة في مكة وسيرته في الدعوة إلى الله بعد الهجرة؛ مما يوقف الدعاة خاصة والمسلمين عامة على أصدق حديث عن أفضل سيرة لأحسن قدوة عليه الصلاة والسلام.

سادساً: إظهار عناية الصحابة ﷺ والعلماء من بعدهم بالقرآن الكريم حتى عرفوا أول ما نزل، وآخر ما نزل من القرآن كله، وفي كل حكم من أحكامه الذي لا يمكن الوصول إليه وإدراكه؛ إلا بالجهد الكبير والاهتمام العظيم مما يوجب على من بعدهم الاقتداء بهم والسير على نهجهم[1].

---

(١) دراسات في علوم القرآن الكريم للدكتور: فهد الرومي(ص٢٥٤) وما بعدها باختصار.

فعند تفسيره لسورة التوبة: قال الأستاذ الخطيب: «كانت سورة «الأنفال» أول ما نزل من القرآن بالمدينة ، على حين كانت «التوبة» آخر سورة نزلت من سور القرآن بالمدينة أيضاً! »[1].

قلت: يقول الإمام النحاس: «نزلت سورة الأنفال بالمدينة فهي مدنية، قال تعالى:

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ عَمَدٍ الآية للعلماء في هذه الآية خمسة أقوال، فأكثرهم على أنها منسوخة بقوله تعالى مُّمَدَّدَةٍ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ عَمَدٍ [الأنفال: ٤١]، واحتج بعضهم بأنها لما كانت من أول ما نزل بالمدينة من قبل أن يؤمر بتخميس الغنائم، وكان الأمر في الغنائم كلها إلى النبي ﷺوجب أن تكون منسوخة بجعل الغنائم حيث جعلها الله تعالى وقائلو هذا القول يقولون: الأنفال هاهنا الغنائم ويجعل بعضهم اشتقاقه من النافلة وهي الزيادة قال: فالغنائم أنفال لأن الله تعالى نفلها أمة محمد ﷺخصهم بذلك» [2].

وعند تفسيره لسورة الأحزاب: قال الأستاذ الخطيب:.. استحالة ضبط سور القرآن على حسب الترتيب النزولي لآياته ..حيث لم يعرف الترتيب النزولي إلا لعدد محدود من آيات القرآن لا تمثل إلا أقل القليل منه .. قد لا تتجاوز بضع آيات ، أو عشرات من الآيات على أكثر تقدير .. وحتى هذا القليل الذي يقال إنه معروف الترتيب لم يقع الإجماع بين العلماء عليه، وحتى أنهم لم يتفقوا على أول ما نزل به الوحي، كما لم يتفقوا على آخر ما نزل به .. فبينما يقول أكثرهم

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٥ / ٦٩٤).
(٢) الناسخ والمنسوخ للإمام: أبي جعفر النحاس (المتوفى: ٣٣٨هـ)(ص٤٥١)طبعة: مكتبة الفلاح – الكويت الطبعة: الأولى،(١٤٠٨هـ) تحقيق الدكتور: محمد عبد السلام محمد.

إن أول ما تلقى النبيﷺ من وحي ، هو قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [١] - بينما يقول أكثرهم هذا ، يقول بعضهم . كما في صحيح مسلم . إن أول ما نزل من القرآن « المدثر » ؛كما يقول آخرون ، إن أول ما نزل من القرآن « الفاتحة » ثم نزل بعدها المدثر ، ثم الآيات الثلاث الأولى من سورة « نوح»[٢].

وعند تفسيره لسورة العلق قال الأستاذ الخطيب: أول ما نزل من القرآن الكريم[٣].

موقفه من علم المناسبات:

علم المناسبة:« هو علمٌ يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات بعضها ببعض ، وبين السور بعضها ببعض ، حتى تُعرف عللُ ترتيب أجزاء القرآن الكريم » [٤].

اهتم الأستاذ الخطيب بهذا العلم في تفسيره؛ فيذكر مناسبة السورة لما قبلها[٥]، ومناسبة الآيات بعضها مع بعض[٦].

فعند تفسير الأستاذ الخطيب لأول سورة التوبة قال:«المناسبة قريبة بين سورة التوبة، وسورة الأنفال قبلها .. بل إن بينهما لأكثر من وجه من الوجوه الجامعة بينهما على سبيل الوفاق ، أو المقابلة:

فأولاً: ختمت سورة الأنفال بالكشف عن الحدود الفاصلة بين المؤمنين

---

(١) سورة العلق ، وهذا هو الرأي الراجح للعلماء ويشهد له رواية صحيح الإمام مسلم(ك):الإيمان (ب):بدء الوحي إلى رسول اللهﷺ(١٣٩/١). عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
(٢) التفسير القرآني للقرآن (١١ / ٦٣٤)
(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٦ / ١٦٢١)
(٤) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور تأليف: عادل بن محمد أبو العلاء(ص١٨)، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد(١٢٩) – السنة(٣٧)- (١٤٢٥ هـ).
(٥) ينظر: تفسيره عند ذكره لمناسبة سورة يونس لسورة التوبة (٩٢٨/٦)
(٦) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (١ /١٨٢)عند تفسيره لسورة البقرة.

وغير المؤمنين بحيث وضح موقف كل منهما من الآخر .. فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، والكافرون بعضهم أولياء بعض.

وثانياً: بدئت سورة التوبة بهذا الإعلان العام الذي كان تطبيقاً للأحكام التي تضمنتها الآيات الواردة في آخر الأنفال من عزل المؤمنين عن الكافرين، حيث قضى هذا الإعلان ببراءة الله ورسوله من المشركين، ومن العهود المعقودة معهم.

وثالثاً: كانت سورة «الأنفال» أول ما نزل من القرآن بالمدينة، على حين كانت «التوبة» آخر سورة نزلت من سور القرآن بالمدينة أيضاً! لهذا وغيره من المناسبات الجامعة بين السورتين كان جمعهما على هذا النسق .. »[١].

وعند تفسيره لأول سورة الانشقاق قال «مناسبتها لما قبلها تعد هذه السورة ، وما سبقها ، وما يأتي بعدها ، حديثاً متصلاً عن القيامة وأحداثها .. فكل سورة منها معرض من معارض هذا اليوم المشهود ..فإذا ذهبنا نلتمس مناسبة لترتيب هذه السور ، كان ذلك أشبه بالتماس المناسبة بين ترتيب الآي في السورة الواحدة والمناسبة هنا وهناك قائمة أبداً .. » [٢].

موقفه من علم القراءات:

إن بعلم القراءات يستطيع المفسر ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض، ويختلف المعنى على كل قراءة. وقد ذكر الأستاذ الخطيب بعض القراءات في تفسيره بغير استطراد كأن يقول:والقراءتان . بالنصب والجرّ . يكملان بعضهما [٣]، أو قرأ أهل المدينة[٤] «الَّذِينَ اتَّخَذُوا» بغير واو العطف أو بالعطف [٥].فيذكر

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٥ / ٦٩٤).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٦ / ١٥٠١).
(٣) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٢ / ٦٨٦). عند تفسيره لسورة النساء.
(٤) نافع، وأبو جعفر.

[1].فيذكر القراءات بلفظ قرأ أهل المدينة ،أو قرئ مع توجيهها.

فعند تفسيره لسورة التوبة قوله تعالى : ﴿ مُّمَدَّدَةٍ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ ﴾ عَمَدٍ

قال الأستاذ الخطيب: « قرأ أهل المدينة « الَّذِينَ اتَّخَذُوا » بغير واو العطف، وذلك على الاستئناف وابتداء عرض وجه آخر من وجوه المنافقين ..وقرى ء بالعطف، وهي القراءة المشهورة وعليها تنتظم وجوه المنافقين في سلك واحد، على تقدير : ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً .. »[2].

قلت: وهي مشهورة قرأ بها: نافع ،وابن عامر ،وأبو جعفر وهي كذلك في مصاحف أهل المدينة ، وأهل الشام ؛بغير واو« الَّذِينَ اتَّخَذُوا »والباقون بالواو[3].

وعند تفسيره لسورة النساء ﴿ مُّمَدَّدَةٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ عَمَدٍ [4]

قال الأستاذ الخطيب: «كذلك قرئ قوله تعالى : «وَالْأَرْحامِ» بالجرّ عطفاً على الضمير في « به » في قوله تعالى : «واتقوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ » بمعنى: واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام أي: الذي هو ملء خواطركم وأفكاركم ؛ كما هو شأنكم مع أهليكم وذوى أرحامكم، والقراءتان . بالنصب والجرّ . يكملان بعضهما . ويكشفان عن وجه من وجوه الإعجاز القرآني ، ويأخذان على الناس السبيل إلى الانحراف عن سواء السبيل في الجمع بين تقوى الله ، وبرّ ذوى الأرحام .. فمن الناس: من يلتفت بوجوده كلّه إلى الله،

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٦ / ٨٩٤) عند تفسيره لسورة التوبة.
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٦ / ٨٩٤).
(٣) تحبير التيسير في القراءات العشر للإمام: ابن الجزري (ص٣٩٣) طبعة : دار الفرقان - الأردن .وينظر: (السبعة في القراءات) للإمام: ابن مجاهد التميمي (ص٣١٨) ط: دار المعارف – القاهرة.
(٤) سورة النساء جزء الآية (١).

ويذهل عن حقّ أهله وذوى قرابته، ومن الناس: من تشغله أمور أهله وذوى قرابته فيجور على حقّ الله عنده. والطريق القويم: هو أن يرعى الأمرين معاً ، فلله حقوق يجب أن يؤديها ، وللأهل حقوق ينبغي أن يرعاها ، وهو ملوم إن قصّر في حق على حساب الحق الآخر»[1].

قلت:وهي قراءة سبعية متواترة قرأ حمزة وحده « وَالْأَرْحامِ » خفضاً ، وقرأ الباقون:« وَالْأَرْحَامَ » نصباً [2].

موقفه من علم الناسخ والمنسوخ:

يقول الدكتور مناع القطان: «ولمعرفة الناسخ والمنسوخ أهمية كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين حتى لا تختلط الأحكام، ولمعرفة الناسخ والمنسوخ طرق:النقل الصريح عن النبي ﷺ وإجماع الأمة على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ، ومعرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ، ولا يعتمد في النسخ على الاجتهاد، أو قول المفسرين، أو التعارض بين الأدلة ظاهراً، أو تأخر إسلام أحد الراويين» [3].

قال الأستاذ الخطيب: إن هذا العلم على خلاف بين العلماء «ونحن على رأينا الذي اطمأن إليه قلبنا من أنه لا نسخ في القرآن .. !!»[4] فهو يُعمل جميع الآيات القرآنية ، ويرى أن القول بالنسخ يؤدي إلى تعطيل الحكم في الآيات المنسوخة ، وهذا مقام يتنزه عنه كلام الله تعالى:مُّمَدَّدَةٍ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ عَمَدٍ [5].

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٢ / ٦٨٦).
(٢) (السبعة في القراءات) للإمام: ابن مجاهد(ص٢٢٦).
(٣) مباحث في علوم القرآن للدكتور: مناع القطان(ص٢٤٠) ط : مكتبة المعارف (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)
(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٣٦٢/٧).
(٥) سورة الأنعام الآية(١١٥). وينظر: عبد الكريم الخطيب والثقافة الإسلامية(ص ١٠٣)

قلت:إن الأصل أنه لا إعمال للعقل عند وجود نص صريح صحيح، وجمهور العلماء يقولون بجواز النسخ عقلاً وشرعاً؛ لورود الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك، ولكن الأستاذ: عبد الكريم الخطيب أعمل عقله وقال: إن النسخ هو النسأ[1]، وترتب على ذلك إنكاره لوقوع النسخ في القرآن الكريم.

فقد ذكر الأستاذ الخطيب أن مسألة النسخ مسألة خلافية بين العلماء؛ كما أن هذه المسألة فتحت باب للتقول على القرآن الكريم، وبين وجهة نظر العلماء في فهم هذه الآية وقولهم بالنسخ أو عدمه ...إلى أن قال الأستاذ: الخطيب «يرى عدد غير قليل من العلماء أن النسخ في القرآن ليس نسخاً بمعنى إزالة الحكم ، كما ذهب إلى ذلك القائلون بالنسخ .. وإنما هو نسأ وتأخير ، أو مجمل أخّر بيانه ، أو خطاب قد حال بينه وبين أوله خطاب غيره ، أو مخصوص من عموم ، أو حكم عام لخاص ، أو لمداخلة معنى في معنى، وأنواع الخطاب كثيرة ، فظنوا ـ أي: القائلون بالنسخ ـ أن هذا نسخ وليس به ، وإنه ـ أي القرآن ـ الكتاب المهيمن على غيره ، وهو نفسه متعاضد »[2] .

ثم قال الأستاذ: الخطيب وبهذا التحقيق يتبين: ضعف ما لهَج به كثير من المفسّرين في الآيات الآمرة بالتخفيف من أنها منسوخة بآية السيف، والواقع أنها ليست كذلك ، بل هي من النّسأ ، بمعنى: أن كل أمر يجب امتثاله في وقت ما؛ لعلّة توجب ذلك الحكم ، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر ، وليس بنسخ ؛ إذ النسخ معناه الإزالة.وتطبيقاً لهذا الرأي ، نجد ألا تعارض ، ولا تناسخ بين الآيات التي تختلف أحكامها في الأمر الواحد ، إذ أن كل حكم محكوم بحال

---

(١) «الإنساء : هو شرع الحكم من أجل سبب أو إلى وقت ، ثم يتغير هذا الحكم بتغير السبب والوقت». (الأصلان في علوم القرآن) للدكتور: محمد عبد المنعم القيعي(ص٨١) الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة (١٤١٧هـ ١٩٩٦م).

(٢) البرهان في علوم القرآن للإمام: الزركشي(٢/ ٤٤).

خاصة به مقدرة له ، وعلة تدور معه وجوداً وعدماً.فمثلاً .. قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ عَمَدٍ [1] وقوله تعالى بعد هذا : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ عَمَدٍ [2] وليس بين الآيتين تعارض ، أو تناسخ وإن عرضا لأمر واحد ، واختلف منطوق الحكم فيهما.

فيرى الأستاذ الخطيب:«أن النسخ معناه عزل الآيات المنسوخة عن الحياة، وإحالتها إلى«المعاش»!!وما الاحتفاظ بها في القرآن إلا كالاحتفاظ بجثث الأموات محنطة في توابيت!! وذلك مقام تنزّه عنه كلام الله رب العالمين! ..» [3].

يقول الإمام أبو القاسم هبة الله بن سلامة:« قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ ﴾ عَمَدٍ [4] هذا محكم. والمنسوخ قوله ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ ﴾ عَمَدٍ [5] إلى آخر الآية، وكان فرضاً على الرجل أن يقاتل عشرة فمتى فر كان مولياً للدبر، فعلم الله تعالى عجزهم فيسر وخفف فنزلت الآية التي بعدها فصارت ناسخة لها فقال: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ ﴾ عَمَدٍ [6] والتخفيف لا يكون إلا من ثقل فصار فرضاً على الرجل أن يقاتل رجلين فإن انهزم منهما كان مولياً للدبر وإن انهزم عن أكثر لم يكن مولياً

---

(١) من سورة الأنفال .
(٢) من سورة الأنفال.
(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٦٣/١).
(٤) سورة الأنفال جزء الآية (٦٥).
(٥) سورة الأنفال جزء الآية (٦٥).
(٦) سورة الأنفال جزء الآية (٦٦).

للدبر بدليل ظاهر الآية» [1].

وقال الإمام أبو جعفر: «..وهذا شرح بين حسن أن يكون ذا تخفيفاً لا نسخاً؛ لأن معنى النسخ رفع حكم المنسوخ ولم يرفع حكم الأول؛ لأنه لم يقل فيه لا يقاتل الرجل عشرة بل إن قدر على ذلك فهو الاختيار له، ونظير هذا إفطار الصائم في السفر لا يقال: إنه نسخ الصوم، وإنما هو تخفيف ورخصة والصيام له أفضل .. » [2].

قلت ووجه النسخ: أن الآية الأولى أفادت وجوب ثبات الواحد للعشرة وأن الثانية أفادت وجوب ثبات الواحد للاثنين وهما حكمان متعارضان[3].

ودليله عن ابن عباس–رضي الله عنهما، قال: «لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفاً، فخفف الله عنهم، فنسخها بالآية التي بعدها» ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦﴾ عَمَدٍ [4] »[5].

وعند تفسيره لسورة النحل قوله تعالى :﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ عَمَدٍ

---

(١) الناسخ والمنسوخ للإمام:أبي القاسم هبة الله بن سلامة (المتوفى: ٤١٠ هـ)(ص٩٥) وما بعدها؛ طبعة: المكتب الإسلامي – بيروت. تحقيق: زهير الشاويش ، ومحمد كنعان.

(٢) الناسخ والمنسوخ للإمام:أبي جعفر النحاس (المتوفى: ٣٣٨هـ)(ص٤٧٠).

(٣) مناهل العرفان(٢٦٥/٢)

(٤) من سورة الأنفال.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط(١٢/٨)طبعة:دار الحرمين. وقال: لم يرو هذا الحديث عن عطاء، إلا يونس بن القاسم، تفرد به: ابنه ويونس بن القاسم الحنفي قال الإمام:أحمد ثقة ولم أسمع منه. وقال ابن معين، والنسائي ثقة وذكره(تهذيب التهذيب)للإمام:ابن حجر العسقلاني (٥٠٦/٧).

يقول الأستاذ الخطيب: «ونحن على رأينا الذي اطمأن إليه قلبنا من أنه لا نسخ في القرآن .. »[1] .«...والمراد بالتبديل لآية مكان آية؟ الجواب . والله أعلم أن المراد بتبديل آية مكان آية هنا؛ هو ما كان يحدث في ترتيب الآيات في السور ، ووضع الآية بمكانها من السورة ؛ كما أمر الله سبحانه وتعالى .. وذلك أن آيات كثيرة كانت مما نزل بالمدينة ، قد وضعت في سور مكية ؛ كما أن آيات مما كان قد نزل بمكة ألحقت بالقرآن المدني ..وهذا الذي حدث بين القرآن المكي والمدني من تبادل الأمكنة للآيات بينهما ، قد حدث في القرآن المكي ، والمدني . كلّ على حدة . فكانت السورة المكية مثلاً تنزل على فترات متباعدة ، فتنزل فاتحتها ، ثم تنزل بعد ذلك آيات آيات ، حتى يتم بناؤها ..وعلى هذا ، فإن تبديل آية مكان آية ، هو وضع آية نزلت حديثاً بمكانها الذي يأمر الله سبحانه وتعالى أن توضع فيه بين آيات سبقتها بزمن .. قد يكون عدة سنين ..! »[2].

قلت: ولاشك أن التبديل هنا بمعنى التحويل، والنقل، وهو من معاني النسخ، ومن أدلة وجود النسخ في القرآن الكريم ومشروعيته.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية: «فتأمل حسن الاعتراض وجزالته في قول الرب تعالى ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ فقوله «والله أعلم بما ينزل» اعتراض بين الشرط وجوابه أفاد أموراً منها: الجواب عن سؤال سائل ما حكمة هذا التبديل، وما فائدته؟ ومنها: أن الذي بدل وأتى بغيره منزل محكم نزوله قبل الإخبار بقولهم. ومنها: أن مصدر الأمرين عن علمه تبارك وتعالى، وأن كلا

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٣٦٢/٧).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٣٦٣/٧).

منهما منزل فيجب التسليم والإيمان بالأول، والثاني»[1].

وقال الأستاذ الخطيب: «ولا شك أن كثيراً من المشركين والمنافقين ، ومرضى القلوب كانوا ينظرون إلى هذا التبديل والتغيير ، الذي كان يؤذن النبيﷺ أصحابه وكتاب الوحي ﷺ به . كانوا ينظرون إليه نظر اتهام للنبيﷺ بأنه إنّما يعيد بناء قرآنه ويغيّر ويبدل فيه ، ويصلح من أمره ما يراه غير مستقيم عنده ، شأنه في هذا شأن الشاعر ، ينشئ القصيدة ، ثم يجرى عليها من التعديل والتبديل ما يبدو له... وقد ردّ الله سبحانه وتعالى على هؤلاء السفهاء بقوله : ﴿مُّمَدَّدَةٍ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ عَمَدٍ [2] .وروح القدس ، هو جبريل عليه السلام، وهو السفير بين الله سبحانه وتعالى ، وبين النبي ﷺ، بهذا القرآن الكريم .. »[3].

موقفه من الحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية:

قال الأستاذ الخطيب:«هذه الأحرف المقطعة في بعض سور القرآن ، وفي مفتتح السور التي جاءت فيها . إن هذا أشبه « بالوحدة » التي يقوم عليها اللحن الموسيقى، والتي يسرى صداها في اللحن كله من أوله إلى آخره، وإن تعددت أنغامه، وخفتت أو علت أصداؤه.!فليس من الضروري إذن أن يجتهد في البحث عن معنى لهذه الأحرف المقطعة، ولنا أن نحسبها مطلعاً موسيقياً، تقوم عليه وحدة النغم في ترتيل آيات السور التي بدئت بحرف، أو حرفين، أو أكثر»[4].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن(ص٢٢٤).
(٢) من سورة النحل.
(٣) التفسير القرآني للقرآن (٣٦٤/٧-٣٦٥) باختصار.
(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٢٥/١).

فعند بداية تفسيره لسورة البقرة: قال« في القرآن الكريم تسع وعشرون سورة بدأت بحرف أو أكثر من حروف الهجاء، وكل حرف ينطق به نطقاً مستقلاً مرتلاً ..وقد شغلت هذه الحروف علماء التفسير فأطالوا النظر فيها ، وأكثروا القول في تأويلها وتفسيرها ؛ حتى لقد تجاوزت وجوه الرأي فيها أربعين وجهاً! والمفهوم الذي نستريح إليه لهذه الأحرف: أنها مجرد حروف هجاء مما بنيت منه كلمات القرآن الكريم ، وآياته ، وسوره ، وأنها حين يبدأ بها في التلاوة هكذا .. حرفاً حرفاً ، آخذاً كل حرف نغماً مستقلاً على لسان القارئ . ترسم لمرتل القرآن أسلوباً خاصّاً في التلاوة، فيقرأ الكلمات قراءة متأنية يأخذ فيها كل حرف مكانه على لسان القارئ؛ كما أخذت حروف هذه المفتتحات وضعها المستقل على لسانه! في أناة وتقطيع .. حرفاً حرفاً! وبهذا يتحقق الأداء السليم لتلاوة القرآن الكريم ، كما يقول الله تعالى :

﴿ مُّمَدَّدَةٍ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ عَمَدٍ ﴾[1].

إلى أن قال الأستاذ الخطيب «..وعلى هذا ، فإن مجيء هذه الأحرف المقطعة في بعض سور القرآن ، وفي مفتتح السور التي جاءت فيها . إن هذا أشبه « بالوحدة » التي يقوم عليها اللحن الموسيقى، والتي يسرى صداها في اللحن كله من أوله إلى آخره وإن تعددت أنغامه، وخفتت أو علت أصداؤه.!فليس من الضروري إذن أن يجتهد في البحث عن معنى لهذه الأحرف المقطعة ، ولنا أن نحسبها مطلعاً موسيقياً تقوم عليه وحدة النغم في ترتيل آيات السور التي بدئت بحرف أو حرفين أو أكثر»[2].

قلت: ما ذكره الأستاذ الخطيب في معنى الأحرف المقطعة في أوائل السور

---

(١) جزء الآية من سورة المزمل ، التفسير القرآني للقرآن (٢٣/١-٢٤).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٢٥/١).

هو رأي المستشرقين، وهو بدعة مستحدثة دخيلة على تفسير القرآن الكريم .

ويقول الدكتور عبد الرحيم فارس أبو علبة: إن فكرة فواتح السور أنها إشارات وبيانات موسيقية بدعة ضالة حديثة وشائبة شابت التفسير نزع إليها الدكتور: زكي مبارك صاحب كتاب النثر الفني وقد استلهمها من المستشرق مسيو بلانشو، ويميل الدكتور: زكي مبارك إلى هذا الرأي فيقول: «ويؤيد رأي المسيو بلانشو أن «الم» تنطق هكذا عند الترتيل: ألف. لام. ميم .فهي ليست رموزاً ولكنها رموز صوتية»وعليه فأصل فكرة صرف أذهان الناس عن القرآن وما فيه من معنى إلى ألحان موسيقية هم المستشرقون» (١).

قلت: ولعل أقرب الأقوال إلى الصواب في هذه الحروف المقطعة التي وردت في بعض سور القرآن للإيقاظ والتنبيه لأولئك المعارضين على أن القرآن من عند الله ، وبيان أن القرآن الكريم مؤلف من جنس هذه الأحرف التي تتحدثون بها ومع ذلك فقد عجزتم عن الإتيان بأقصر سورة منه.

موقفه من التفسير والتأويل، والمحكم والمتشابه:

قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٥ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٧﴾ آل عمران

قال الأستاذ الخطيب: اختلف الأئمة المفسرون في هذه الآية ، وتضاربت آراؤهم في مواضع كثيرة منها في الآيات المتشابهة ما هي؟ وما مدلول التشابه

---

(١) شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور: عبد الرحيم فارس أبو علبة(١٠٢/٢) رسالة ماجستير.

هذا؟ومن هم المقصودون بقوله تعالى : « ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ » وهل الوقف على لفظ الجلالة في قوله تعالى : « وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ » ؟ أم يعطف عليه قوله سبحانه « وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ » ؟ وهل الواو هنا للعطف، أم للاستئناف؟ وفي الإجابة على أي سؤال من هذه الأسئلة عشرات من الأجوبة التي يذهب كل منها مذهباً غير مذهب صاحبه! وندع كل هذا ، وننظر في الآية الكريمة نظراً مباشراً ، يصافح وجهها المشرق ، ويتملّى بيانها المبين ..ونقف قليلاً عند قوله تعالى:« وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ » ونطلب المعنى اللغوي لكلمة «التأويل» وإذ ننظر في معاجم اللغة .. لا نجد فيها ما يشفي .. إذ لا تبعد كثيراً عن معنى التفسير ، أو التخريج ، وقد يراها بعضهم هي والتفسير سواء، فلا فرق عندهم بين التفسير والتأويل، والقرآن الكريم ـ وهو الحجة على اللغة ، وليست اللغة حجة عليه ـ يفرق بين التأويل والتفسير ، ويجعل لكل منهما مجالاً لا يعمل فيه الآخر، يستعمل القرآن الكريم «التأويل»: للأمور الخفيّة الغامضة التي يخفي ظاهرها ما ضمّ عليه باطنها من أمور محجبة وراء هذا الظاهر .. وبين الظاهر غير المراد، والباطن المراد بون شاسع وبُعد بعيد ، لا يبلغه إلا بصر ذوى البصائر ممن ﷻ، ورفعهم إلى هذا المقام الكريم ، الذي يطلعون منه على ما وراء الحجب من علم الله.

ذكر القرآن الكريم أن هذا المقام الكريم ـ مقام التأويل ـ كان ليوسف عليه السلام فقال تعالى :مُّمَدَّدَةٍ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ عَمَدٍ (١).

وبعد أن ذكر الأستاذ الخطيب جُل الآيات القرآنية التي تحدثت عن التأويل..« قال التأويل: هو فك طلاسم ورموز ، يقف الناس جميعاً أمامها

(١) سورة يوسف جزء الآية(٢١)- التفسير القرآني للقرآن (٢ / ٣٩٩).

حائرين ، ويقول فيها كل إنسان قولاً ، وينظر كل ناظر إليها بنظر .. وهيهات أن يلتقي قول بقول ، أو يقع نظر على نظر! فكل ما يقال فيها هو رجمٌ بالغيب ، إلا من علّمه الله تأويل الأحاديث! » [1].

ويقول الأستاذ الخطيب: « والآيات المحكمة هي التي تنطق بدلالتها نطقاً واضحاً محدداً لا يقبل التخريج أو التأويل .. وهذه الآيات هي التي تحمل أحكام الشريعة .. من صلاة، وصيام ، وزكاة ، وحج ، ولا تكشفه ، وتتخافت به ولا تجهر! وهذا ما يجعل للقرآن الكريم حياة متجددة في العقول وفي القلوب لا يمل مرتله الترتيل أبداً ، إذ يجد لما يعاود ترتيله روحاً في كل مرّة ، ووجهاً جديداً في كل ترتيله .. »[2].

ويقول الأستاذ الخطيب: « ونعود إلى المتشابه .. ما هو؟ وأين هو في القرآن؟ وما الحكمة منه؟

المتشابه: هو المغلق الذي لا ينكشف للنظر بل يتراءى لمعطيات الحدس والرجم بالغيب، أشبه بالأحلام وأضغاث الأحلام التي يتأولها المتأولون ، ويقول فيها القائلون! وليس يعلم قولة الحق فيها إلا علّام الغيوب .. ذلك هو المتشابه.أما أين هو في القرآن .. فإنا إذا نظرنا في كتاب الله ، فيما بين أوله وآخره نجد أن قوله تعالى : « وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ» يلفتنا لفتاً قوياً إلى هذا المتشابه، وهو تلك الأحرف المتقطعة التي تبدأ بها بعض سور القرآن الكريم ، مثل « الم ، الر ، المر ، كهيعص ، طس ، طسم ... » فهذه الأحرف هي التي يقف أمامها دارس القرآن حائراً ، لا يدرى لها مفهوماً ، إلا أن يكون ذلك بضرب من الحدس والتخمين ، ولهذا كثرت فيها تأويلات المتأولين ، إلى أن جاوزت

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٤٠١/٢)
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٤٠٣/٢).

السبعين قولاً فيها ، بل ويمكن أن تزاد هذه الأقوال إلى مئات ، بل وتتسع لألوف ، دون أن يكون قول أحق فيها من قول ، أو أولى بالقبول والتسليم .. إذ كل الأقوال هي اجتهاد شخصي ، كالحدس عن شيء داخل صندوق مغلق ، ولهذا كان أعدل قول فيها وأصدقه هو القول : « الله أعلم بمراده » فما يعلم تأويلها إلا الله! وقد عرفنا معنى التأويل ، وأنه ـ كما جاء في القرآن ـ لا يكون إلا في مواجهة الأمور المغلقة ، كالأحلام وأضغاث الأحلام!

قوله تعالى : مُّمَدَّدَةٍ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ عَمَدٍ [1] أي: إن الذين في قلوبهم مرض بما عشّش فيها من نفاق وضلال ..هؤلاء لا ينظرون في كتاب الله، ولا يقفون عند محكم آياته؛ لأنهم لا يؤمنون به ، بل يجعلون همهم كله في صيد ما يمكن صيده من كتاب الله من هذا المتشابه من كلماته التي أشرنا إليها ، والتي يمكن ألا يقال فيها أي شيء ؛ كما يمكن أن يقال فيها كل شيء! لأنها ـ كما قلنا ـ كتاب مغلق .. إذا سئل الإنسان عما فيه ، فإن احترم عقله قال:«لا علم لي» وإن سفه وحمق ، قال: وأكثر القول ، وتحدث وأطال الأحاديث بما هو أكثر مما في الكتاب امتداداً وطولاً ، وربما كان الكتاب في علم الحساب على حين يحسبه المتخرصون كتاباً في الفقه ، أو الحديث ، أو الأدب ، أو الموسيقى مثلاً!! وهؤلاء من مرضى القلوب ، إنما وقفوا عند هذه المتشابهات؛ لأنها تفتح لهم أبواباً واسعة إلى أن يقولوا فيها ما يشاءون، وأن يحمّلوها من المعاني ما يريدون من مقولات تفتن وتضلّ ، دون أن يقف لهم أحد ، أو يفنّد مقولاتهم مفنّد ، فإذا واجههم أحد ، أو حاجّهم متحاج سألوه رأيه فيها ، وقوله عنها ، وقد عرفنا أنها تتسع لكل رأى ، وتتقبل كل قول، وليس فيها إلا قول واحد علمه

---

(١) سورة آل عمران جزء الآية(٧).

عند علام الغيوب. ﴿مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ ﴿مُّحۡكَمَٰتٌ﴾! ..ولو كان هؤلاء الزائغون المنافقون يؤمنون بالقرآن ، وبأنه من عند الله ما كان لهم أن يقولوا في المتشابه ما يقولون مما يؤدى إليه نظرهم واجتهادهم ، ولكان لهم من إيمانهم ما يعصمهم من أن يزلّوا ويضلّوا ، ولكنهم ـ كما عرفنا ـ لا يمسكون من القرآن إلا بتلك الكلمات المتشابهة ، التي رصدها الله ابتلاء وفتنة، تزداد بها قلوب المنافقين مرضاً إلى مرض ورجساً إلى رجس ، أما المؤمنون فقد عافاهم الله من هذا البلاء ، وعصمهم من تلك الفتنة؛ لأنهم يتقبلون هذا المتشابه كما يتقبلون المحكم وغير المتشابه من كتاب الله ، ويقولون فيها جميعاً : « كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا » وقوله تعالى :﴿مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ ﴿مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ ﴿مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ هو بيان لموقف المؤمنين من متشابه القرآن إزاء موقف المنافقين منه ، وهو أنهم ـ أي المؤمنين ـ يؤمنون بالمتشابه إيمانهم بالمحكم وبغير المتشابه إيمان تسليم وامتثال؛ لأن كتاب الله ـ المتشابه ، وغير المتشابه والمحكم ـ كله من عند الله ، فليس في المتشابه ـ والأمر كذلك ـ ما ليس في كتاب الله؛ لأنه بعض كتاب الله ، ولا يخرج البعض الكلّ وإلّا كان غريباً عنه! فإذا كان لقائل أن يقول في هذا المتشابه: فليقل ما يشاء شريطة أمر واحد ، وهو ألا يخرج في قول من أقواله عمّا في كتاب الله من أحكام ومقررات، ولهذا لم يكن ثمة حرج عند علماء التفسير أن يقولوا في هذه المتشابهات ما قالوه من مختلف الآراء؛ لأنهم يقولون ما يقولون ، وهم مؤمنون بكتاب الله كله محكمه ومتشابهه، وفي قوله تعالى : ﴿مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ ﴿مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ إشارة إلى أن الراسخين في العلم ـ وهم ما هم في العلم والحكمة والعقل ـ إذا كان موقفهم من هذا المتشابه موقف عجز وتسليم ، فلا ينطقون إزاء هذا المتشابه ـ إذا نطقوا ـ إلّا كان قولهم : ﴿مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ ﴿مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ ـ إذا كان هذا هو موقف

الراسخين في العلم ، فإن من السفاهة والحمق والجهل جميعاً أن يقول غيرهم مما لا رسوخ له في العلم . غير هذا القول ، وألّا يؤمن إيمان عجز وتسليم ، كما آمن الراسخون في العلم إيمان عجز وتسليم بهذا المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وعلى هذا ، فإنا نرى أن الوقوف على لفظ الجلالة في قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ هو وقوف لازم حتى يكون العلم بتأويل هذا المتشابه مقصوراً على الله وحده ، وأما الراسخون في العلم فهم والجاهلون سواء في هذا المتشابه، لا يملكون إزاءه إلا التسليم بالعجز ، وإلا أن يقولوا : ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ .وهذا موقف يجب أن يتملّاه العقلاء ، وينتفع به أولو الألباب ، وذلك بقياس الغائب على الشاهد ، والبعيد على القريب ، وإحالة المتشابه على المحكم! »[1].

موقفه من الآيات المتشابهات الواردة في الصفات:

«إن جمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان –بآيات الصفات– وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا لها عن حقيقتها»[2].

فعند تفسيره لقوله تعالى من سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ قال الأستاذ الخطيب: «قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ أكثر المفسرون من المقولات التي تقال في تأويل الوجوه الناظرة إلى ربها، وهل في الإمكان رؤية الله؟ إن الرؤية معناها تحديد المرئي وتجسيده، والله سبحانه منزه عن التحديد والتجسيد.. فكيف يمكن رؤيته؟

---

(١) التفسير القرآني للقرآن(٢/٤٠٤-٤٠٦)
(٢) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي(٣/١٤).

وهذه قضية استنفدت كثيراً من جهد العلماء، من المتكلمين وأهل السنة، ولو أنصف هؤلاء وهؤلاء عقولهم، لأمسكوا بها عن الخوض في لجج هذا البحر الذي لا ساحل له، فإن عقولنا تلك، إنما خلقت لهذا العالم الأرضي، ولكشف ما فيه من حقائق، وأما عالم الآخرة فعقولنا بمعزل عنه، فكيف بذات الله سبحانه وتعالى؟ وكيف بعقولنا المحدودة القاصرة يراد لها أن تحتوى هذا الجلال الذي لا حدود له، والذي وسع كرسيه السماوات والأرض؟ ولهذا، فإن خير ما يحمل عليه قوله تعالى: ﴿ۥإِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ عَمَدٍ هو ما ذهب إليه السلف من أن المراد بالنظر إلى الله، هو النظر إلى رحمة الله،والطمع في رضوانه، والتعلق بالرجاء فيه في ذلك اليوم الذي ينقطع فيه كل رجاء إلا منه جلّ وعلا.. وهذا النظر إلى رحمة الله، لا يختلف عن معنى الرغبة إلى الله، والرجوع إليه، كما يقول سبحانه في سورة القلم: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ عَمَدٍ،وكما يقول جل شأنه في سورة البقرة: ﴿ٱلطَّامَّةِ ﴿٣٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ عَمَدٍ، وأما النظر في وجه الله ﷻفي الآخرة، وأما إمكانه وكيفيته، فذلك- إن صحت الأخبار المروية عنه- مما نؤمن به غيباً، ولا نبحث عنه صورة وكيفاً!!»[1].

قلت: قال الأستاذ الخطيب إن مذهب السلف أن المراد بالنظر إلى الله، هو النظر إلى رحمة الله، والطمع في رضوانه، والتعلق بالرجاء فيه في ذلك اليوم الذي ينقطع فيه كل رجاء إلا منه جلّ وعلا. وهذا شيء لم ينقله أحد من أهل العلم عن السلف ولم ينقل عن أحد من الصحابة أو التابعين ﷺ إنكار رؤية الله تعالى في الجنة ، ومن المعلوم عند علماء أهل السنة أن إنكار رؤية الله تعالى في الآخرة عقيدة اعتزالية .. وهي من أشهر مسائل

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٣٣٨/١٥)

الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة .

يقول العلامة ابن كثير: « وجوه يومئذ ناضرة من النضارة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة إلى ربها ناظرة أي تراه عياناً كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه، فعن جرير بن عبد الله ﷺقال: قال النبي ﷺ« إنكم سترون ربكم عياناً »[1].

وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله ﷻفي الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، « فعن أبي سعيد الخدري ﷺ : أن أناساً في زمن النبي ﷺقالوا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال النبي ﷺ: نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب . قالوا: لا. قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب . قالوا: لا. قال النبي ﷺ: ما تضارون في رؤية الله ﷻ يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»[2].

وعن جريرﷺ قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺإذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا »[3].

فنجد أن الأستاذ الخطيب خالف ظاهر الآية وخالف الأحاديث المتواترة، ونسب لعلماء السلف ما لم يقولوه اللهم إلا إذا كان يقصد بالسلف هنا المعتزلة!!، وهؤلاء بحمد الله ليس فيهم صحابي ، وشكك في صحة الأحاديث

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه(ك):التوحيد .(ب): قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة) سورة القيامة الآيتين(٢٢ - ٢٣) (٢٧٠٣/٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه(ك):التفسير .(ب): سورة النساء. (١٦٧١/٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه(ك):التوحيد .(ب): قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة). (٢٧٠٣/٦). (تفسير القرآن العظيم) للإمام:ابن كثير(٢٨٧/٨)؛ طبعة:دار الكتب العلمية.

المتواترة [1].

وعند تفسيره لقوله تعالى من سورة طه :﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ عَمَدٍ قال الأستاذ الخطيب: «هو بيان لقدرة الله تعالى ، وبسطة سلطانه على هذا الوجود الذي أوجده فهو سبحانه قد استوى على عرش هذا الوجود ، وانفرد بمقام الملك والحكم فيه ، لا ينازعه أحد ، ولا يشاركه شريك من صاحبة أو ولد! ..وقد كثر القول بين أصحاب المقولات من فرق المعتزلة، والقدرية، والمجسّدة ، وغيرهم . كثر القول والخلاف في تأويل العرش ، والاستواء على العرش .. وخير ما قيل في هذا المقام قول الإمام مالك وقد سئل عن تأويل الآية ، فقال للسائل : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً » .. فمن ذا الذي يعلم العرش؟ ثم من ذا الذي يعرف ذات ربّ العرش؟ وإن كان ذلك فوق العقل ، فكيف يعرف شأن ذات لا سبيل إلى أن تعرف؟» [2].

---

(١) من غرائب المفسرين في أواخر القرن العشرين (ص١٤).
(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٨ / ٧٨٠-٧٨١)

المبحث الثالث

موقفه من التفسير بالرأي

تعريف التفسير بالرأي المحمود:هو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر للعلوم والأدوات التي يحتاج إليها المفسر، فهو تفسير مجرد عن الهوى فلا يعارض نقلاً صحيحاً، ولا عقلاً سليماً مع مراقبة المفسر لله تبارك وتعالى في كل ما يقول حتى يُوفق لمراد الله سبحانه مع عدم القطع في تفسيره.

تعريف التفسير بالرأي المذموم: هو التفسير بالرأي الفاسد والهوى الباطل، والعقل المجرد؛ لكي يؤيد المفسر عقيدته ومذهبه بغير استناد لأدلة شرعية.

موقفه من علم غريب القرآن:

الغريب لغة: هو البعيد عن أقاربه، أو المنفرد.

واصطلاحاً: ما وقع في القرآن من الألفاظ البعيدة عن الفهم.

سمي بذلك: لبعده عن ظاهر الفهم، أو لأنه كالمنفرد عن الألفاظ الأخرى القريبة للفهم.

وسبب الغرابة: قد يكون لقلة استعمال الكلمة، أو لاستعمالها في كناية، أو استعارة، أو مجاز، أو لقلة علم القارئ والسامع باللغة، وهو كثير جداً، وازداد كثرة باختلاط العرب بالعجم، وبعد العهد عن عصر الصحابة ﷺ [1].

ولا ريب أن علم غريب القرآن من العلوم الواجب توافرها في المفسر للقرآن الكريم، وأساس هذا العلم هو لغة العرب، ومن لم يعرفه لم يعرف أكثر معاني كتاب الله ﷻ

---

(١)علوم القرآن الكريم للدكتور: نور الدين عتر (ص٢٥٥)طبعة: مطبعة الصباح – دمشق.

يقول العلامة الزركشي: «واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر..» (١)

وأجد أن الأستاذ عبد الكريم الخطيب اهتم في تفسيره بعلم غريب القرآن، وكان يذكره تحت عنوان (التفسير) عند تفسيره للآيات القرآنية.

فعند تفسيره لسورة يونس قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ عَمَدٍ قال الأستاذ الخطيب: « الخرص : خرص الشيء تقديره جزافاً ، بالظن والتخمين ، كمن ينظر إلى شيء فيقدر كيله أو وزنه بالنظر إليه دون معيار (٢).

وعند تفسيره لسورة المزمل قوله تعالى : ﴿ مُّمَدَّدَةٖ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴿٨﴾ عَمَدٍ قال الأستاذ الخطيب: «التبتل : الانقطاع ، والبتل القطع .. ومنه البتول ، وهي التي انقطعت عن الدنيا وشواغلها بعبادة الله ..ومعنى التبتل إلى الله: الانقطاع إليه ، وتوجيه العقل ، والقلب إليه جميعاً ، دون التفات إلى غيره .. » (٣).

قلت: واهتمام الأستاذ الخطيب في تفسيره بهذا العلم كان سمة بارزة وعلامة مميزة ؛ ولاسيما عند تفسيره للآيات القرآنية.

موقفه من علوم اللغة:

اهتم بعلم الإعراب –لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب– في

---

(١)البرهان في علوم القرآن(٢٩٥/١).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٦ / ١٠٤٥)
(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٥ / ١٢٥٧)

تفسيره في حدود المعقول والمقبول [1] بغير استطراد ،وهذه بعض أمثلة توضح موقفه من هذا العلم.

فعند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿مُمَدَّدَةِۢ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾ عَمَدٍ [2] قال الأستاذ الخطيب: ﴿مُمَدَّدَةِۢ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ عَمَدٍ تحريراً للسؤال الدائر في شعور المسلمين وعلى ألسنتهم ، وقوله تعالى: ﴿مُمَدَّدَةِۢ قِتَالٍ فِيهِ﴾ عَمَدٍ بدل من الشهر الحرام .. أي: يسألونك عن الشهر الحرام .. أي: يسألونك عن الشهر الحرام ، عن قتال فيه[3].

وعند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿مُمَدَّدَةِۢ وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ﴾ عَمَدٍ [4].

قال الأستاذ الخطيب: إشارة إلى أن هذه الوصية مفروضة بأمر الله ، سواء أوصى بها الزوج قبل وفاته أم لم يوص ، وعلى هذا نصب لفظ الوصية بهذا الأمر ، على تقدير : فرضنا ﴿مُمَدَّدَةِۢ وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ﴾ عَمَدٍ«ومتاعاً » بدل من « وصية » و«غير إخراج » صفة لمتاع[5].

وكما اهتم بعلم النحو اهتم أيضاً بعلوم البلاغة في تفسيره–فلابد من معرفة المفسر لها لمعرفة ما يقتضيه الإعجاز– مثل: التشبيه، والمجاز المرسل.. وغيرهما فعند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿مُمَدَّدَةِۢ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟

---

(١)ينظر التفسير القرآني للقرآن (٢٤٠/١) سورة البقرة جزء الآية (٢١٧).
(٢) سورة البقرة جزء الآية (٢١٧).
(٣) التفسير القرآني للقرآن (٢٤٠/١).
(٤) سورة البقرة جزء الآية (٢٤٠).
(٥) التفسير القرآني للقرآن(١ / ٢٨٨).

بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ وَيۡلٌ عَمَدٍ قال الأستاذ الخطيب: « هو تشبيه حال بحال ، وشأن بشأن .. بمعنى أن شأن هؤلاء المنافقين وحالهم ، كشأن أو حال من استوقد ناراً» [1].

قلت:هو تشبيه تمثيلي .

وعند تفسيره لسورة يونس قوله تعالى:«مُّمَدَّدَةٖۭ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ عَمَدٍ

قال الأستاذ الخطيب: « قوله تعالى «ڈ ڈ» مجاز مرسل ، يراد به مكان صدق ومنزلة صدق .. إذ كانت القدم هي العاملة الساعية إلى كل غاية يريد الإنسان بلوغها ..وإضافة القدم إلى الصدق؛ إشارة إلى الطريق الذي تسلكه هذه القدم، حتى تصل بصاحبها إلى جناب الله، وتنزل بساحة رضوانه ونعيمه، وهي طريق الحق ، والصدق، وإلا كان مسعاها على الضلال ، وإلى الضلال والبلاء» [2].

قلت:كناية عن المنزلة الرفيعة، والعبارة غاية في البلاغة؛ لأن بالقدم يكون السبق والتقدم، كما سميت النعمة يداً؛ لأنها تعطى بها[3].

موقفه من علم آيات الأحكام:

والمراد به: التفسير الفقهي وموقف المفسر منه، وكيفية استنباطه للأحكام من الآيات القرآنية التي تضمنت أحكاماً فقهيةً.

أو المقصود هو: «الاعتناء بآيات الأحكام، واستنباط القواعد منها

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١ / ٣٦)
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٦ / ٩٣٢)
(٣) صفوة التفاسير(٥٣٧/١)

والأصول، واكتشاف الثروة التشريعية لبيان أحكام اللهﷻ التي كلف عباده الامتثال لها، ومدى حاجة جميع الأزمنة والأمكنة إلى هذه الثروة التشريعية، ليضمنوا السعادة في الدنيا، والفوز بالآخرة»[1].

اهتم الأستاذ الخطيب في تفسيره بتوضيح بعض آيات الأحكام، وذكر أقوال الفقهاء فيها كالأئمة مالك، والشافعي ،وأبي حنيفة [2].

فعند تفسيره لسورة الطلاق قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾

قال الأستاذ الخطيب: «..قوله تعالى : « إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ » أي إذا لزم الأمر ، ولم يكن بدّ من وقوع الفرقة منكم بين الرجل والمرأة. وقوله تعالى: « فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ » أي: فليكن الطلاق في مواجهة الحساب لعدتهن .. أي: ليكن هذا الطلاق منظوراً فيه العدة .. وذلك بتخيّر الوقت المناسب للطلاق ..فاللام في قوله تعالى « لِعِدَّتِهِنَّ » للتوقيت ، أي: لوقت استقبال العدة ، مثل قولك : انتهيت من هذا الأمر ليلة بقيت من المحرم ، أي: مستقبلاً لهذه الليلة .. وهذا يعنى: أن تطلّق المرأة في طهر لم تمس من الرجل فيه ، فإذا طلقت في الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها .. وهذا ـ كما يقول الزمخشري ـ « أحسن الطلاق ، وأدخله في السنة ، وأبعده من الندم » .. لأن الرجل إذا طلق المرأة وهي في طهرها دون أن تدعوه

---

(١)الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (ص٢٨٠) طبعة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (١٤ / ١٠٠٢ ـ١٠٠٦) سورة الطلاق الآيتان(١-٢).

نفسه إليها كان من المستبعد أن يتوق إليها بعد طلاقها ، وبهذا لا يكثر ندمه على فراقها ..وعن إبراهيم النّخعيﷺ أن أصحاب رسول الله ﷺكانوا يستحبون ألّا يطلقوا أزواجهم للسنة . أي طلاق السنة ، وهو أن يكون في طهر لم تمس فيه . كانوا لا يطلقونهن إلا واحدة ، ثم لا يطلقون غير ذلك ، حتى تنقضي العدة .. وكان ذلك أحسن عندهم من أن يطلق الرجل ثلاثاً في ثلاثة أطهار ..وقال مالك بن أنسﷺ : « لا أعدّ طلاق السّنة إلا واحدة » .. وكان يكره الثلاث مجموعة أو متفرقة، وأما أبو حنيفة وأصحابه ﷺ، فقد كرهوا ما زاد على واحدة في طهر واحد ، فأمّا مفرقاً في الأطهار فلا، وعند الشافعيﷺ . لا بأس بإرسال الثلاث ، وقال : لا أعرف في عدد الطلاق سنّة ، ولا بدعة ، وهو . أي الجمع والتفريق . مباح .

يقول الزمخشري تعقيباً على هذا : «فمالك ، يراعى في طلاق السّنة ، الوحدة والوقت، .. وأبو حنيفة ، يراعى التفريق والوقت .. والشافعي ، يراعى الوقت وحده »[1] .

وعند تفسيره لقوله تعالى من سورة الطلاق: ﴿ مُّمَدَّدَةٍ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ عَمَدٍ

يقول الأستاذ الخطيب: «أي فإذا بلغت المطلقة أجلها ، ووافت مشارف العدة ، ولم تبق إلا لحظة ينتهي عندها الأمر إلى مراجعة ، أو طلاق . كان الرجل بالخيار ، إما أن يمسك مطلقته بمعروف ، أو يفارقها بمعروف ، فلا يكون إمساكه لها للضرار والنكاية ، ولا يكون فراقها للانتقام والتشفي .. وإنما الذي يقضى به شرع الله أن يكون كلّ من الإمساك ، أو الفراق ، قائماً

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤ / ١٠٠٢- ١٠٠٣).

على العدل ، والإحسان ، وتجنب البغي والعدوان .. ثم أن يكون هذا ، وذاك ، بمحضر من شاهدي عدل يشهدان المراجعة ، أو الفراق .. وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبى حنيفةﷺ ، أمّا عند الشافعي ﷺ فهو واجب في الرجعة ، مندوب إليه في الفرقة ..وفائدة هذا الإشهاد: هو ألا يقع بينهما التجاحد ، ولئلا يموت أحدهما فيدّعي الآخر ثبوت الزوجية ليرث في حال أنّ الفراق قد تم بينهما» [1].

فنجد أن الأستاذ: الخطيب يقوم بعرض أقوال الفقهاء بغير تعليق منه على أقوالهم!!

موقفه من الإجماع:

«إن الإجماع هو الأصل الثالث من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب اللهﷻ وسنة رسوله ﷺ .. لذلك اهتم المفسرون بالإجماع وأولوه جُل عنايتهم في كتبهم؛ لعلمهم بعظم هذا الأصل وقوة حجيته، فأصبحت التفاسير أهم مصادر المسائل المجمع عليها في الشريعة، والسبب في ذلك يرجع: لكون القرآن الكريم هو أساس جميع العلوم الإسلامية» [2]

تعريفه الإجماع في اللغة: يقول العلامة ابن فارس«جمع: الجيم، والميم، والعين أصلٌ واحد يدلُّ على تَضَامٍّ الشَّيء، ويقال: جَمَعْتُ الشيءَ جَمْعاً»[3].

ويقول العلامة الراغب: «الجَمْع : ضمّ الشيء بتقريب بعضه من بعض؛ يقال : جَمَعْتُهُ فَاجْتَمَعَ، وقال الله تعالى في سورة القيامة: ثُمَّ جُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤ / ١٠٠٦).
(٢) هذا الكلام مستنبط من مقال تحت عنوان (الإجماع عند المفسرين العناية به ودواعيه وأسباب مخالفته لدى بعض المفسرين) للشيخ:محمد الخضيري(ص٨) -مجلة البيان العدد:(١٥٣) جمادي الأولى السنة:(١٤٢١هـ).
(٣) مقاييس اللغة للعلامة:ابن فارس(٤٢٦/١)طبعة: اتحاد الكتاب العرب.

﴿٩﴾عَمَدٍ، وقوله تعالى في سورة المعارج:ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿١٨﴾عَمَدٍ»[١]

ويقول العلامة التفتازاني الإجماع:«هو العزم يقال: أجمع فلان على كذا أي: عزم، والاتفاق يقال: أجمع القوم على كذا أي: اتفقوا»[٢].

فالإجماع في اللغة يدور حول: الضم ،والعزم، والاتفاق.

تعريفه الإجماع في الاصطلاح: «اتفاق المجتهدين من أمة سيدنا محمد ﷺ في عصر من العصور على حكم شرعي »[٣].

و تعريف الإجماع عند المفسرين: اتفاق المفسرين على معنى لفظ في آية مشترك بين أكثر من معنى، فيقصرون اللفظ المشترك على أحد تلك المعاني مع إجماعهم عليه.

حكم الإجماع: إن إجماع العلماء حجة لقوله تعالى في سورة النساء: ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿١٨﴾عَمَدٍ

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾عَمَدٍ

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: « قال العلماء وعلى رأسهم الإمام الشافعي: في الآية.. دليل على صحة القول بالإجماع، أي: اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي؛ لأنه تعالى قرن اتباع غير سبيل المؤمنين إلى مباينة الرسول ﷺ فيما ذكر له من الوعيد فدل على صحة إجماع الأمة؛ لإلحاقه الوعيد بمن اتبع غير سبيل المؤمنين »[٤] .وعن أنس ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أجار أمتي

---

(١) المفردات في غريب القرآن للعلامة: الراغب الأصفهاني (ص٢٠١).
(٢) دستور العلماء للقاضي:عبد رب النبي بن عبد رب الرسول نكري(٣٢/١) .
(٣) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه للإمام:سعد الدين التفتازاني (٨٩/٢)بزيادة تحرير طبعة: دار الكتب العلمية بيروت (١٩٩٦م) تحقيق : زكريا عميرات.
(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور: وهبة الزحيلي(٢٧١/٥)طبعة

من أن تجتمع على ضلالة »[1] .

يقول الإمام الشافعي: «ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم،ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أُمر بلزومها،وإنما تكون الغفلة في الفُرقة فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافة غفلة عن معنى كتاب، ولا سنة ،ولا قياس إن شاء الله »[2].

قال القاضي أبو يعلى: «الإجماع حجة مقطوع عليها، يجب المصير إليها، وتحرم مخالفته، ولا يجوز أن تجتمع الأمَّةُ على الخطأ »[3].

ويقول الإمام ابن حزم: « الإجماع قاعدة من قواعد الملة الحنيفية يرجع إليه، ويفزع نحوه ويكفر من خالفه؛ إذا قامت عليه الحجة بأنه إجماع»[4].

ويقول الدكتور:عبد الرحمن الدهش:«وإذا كان الإجماع بهذه المنزلة، فإن أي قول في تفسير كلام الله تعالى معارض لإجماعٍ صحيح مستقر؛ فإنه قولُ شاذ مردود من الأقوال مُتعذرٌ عن صاحبِه ما أمكن »[5] .

يقول الأستاذ الخطيب: «كان الإجماع في الشريعة الإسلامية أصلاً من أصول هذه الشريعة يقوم إلى جانب أصليها : الكتاب والسنة .. وليس الإجماع في حقيقته: إلا توارد العقول، وتلاقى الفطر على أمر ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسولهﷺ نصّ فيه ، وهذا يعنى: أن الرأي العام حكم يقضى بين الناس ، وفيصل فيما لم يجدوا له حكماً في الكتاب أو السنة

=

: دار الفكر.

(١) ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٩/٣) ، وقال: حسن بمجموع طرقه.

(٢) الرسالة للإمام: محمد بن إدريس الشافعي(ص٤٧٥) طبعة: دار الكتب العلمية.

(٣) العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين (١٠٥٨/٤) طبعة: بدون ناشر .

(٤) مراتب الإجماع للإمام: ابن حزم الأندلسي الظاهري (٧/١) طبعة: دار الكتب العلمية.

(٥) الأقوال الشاذة في التفسير الدكتور:عبد الرحمن بن صالح الدهش (ص٢٧٠)

..وأكثر من هذا ، فإن أحكام الكتاب والسنة ، إنما هي موزونة بميزان الفطرة السليمة ، والعقل الصحيح ، أو قل إن أحكام الكتاب والسنة ضابطة»[١].

قلت: إن الإجماع الصحيح لابد أن يكون مبنياً على نص سابق من كتاب اللهﷻ،أو سنة رسول الله ﷺ، ويدل على ذلك قول الإمام ابن تيمية: «ولا يوجد مسألة يتفق الإجماع عليها إلا وفيها نص»[٢].

قلت:ولاشك أن كلام الأستاذ: الخطيب عن الإجماع يتنافي مع أقوال العلماء بقوله: وليس الإجماع في حقيقته إلا توارد العقول، وتلاقى الفطر على أمر ليس في كتاب اللهﷻ، ولا في سنة رسولهﷺ نصّ فيه.

موقفه من التفسير الموضوعي:

تعريف التفسير الموضوعي:«هو جمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد من جميع سور القرآن الكريم، ثم دراستها دراسة تستوفي جوانب هذا الموضوع المراد بحثه. أو هو دراسة سورة قرآنية قصيرة بعينها لهدف إبراز الوحدة الموضوعية بين جوانبها المتعددة نظراً لتعدد القضايا في السور الطويلة فإذا حكمنا عليها بالوحدة الموضوعية فإن حكمنا لا يخلو من تعسف وتكلف»[٣].

ونجد أن الأستاذ: الخطيب اهتم بالتفسير الموضوعي في تفسيره، وكان يفرد له مباحث مثل: مبحث في الربا[٤]، ومبحث في الدّين وتوثيقه، والإشهاد عليه[٥]. وغير ذلك من الموضوعات، وكان يحيل على بعض مؤلفاته خلال تفسيره كأن يقول: انظر هذا البحث في كتابنا : «السياسة المالية في الإسلام

---

(١) ينظر:التفسير القرآني للقرآن(١٥٧٥/١٦) سورة البلد الآية(٧).
(٢) مجموع الفتاوى للإمام: ابن تيمية (١٩٥/١٩) طبعة: دار الوفاء (٢٠٠٥ م).
(٣) فيض المنان في علوم القرآن للدكتور مصطفي رجب ، (ص ٢٢)، طبعة المكتب المصري.
(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٢ / ٣٦٣).
(٥) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٢ / ٣٦٤).

» (ص٢٤) [١]، وما بعدها تجد بحثاً وافياً في هذا الموضوع. وكمبحث في المسيح الإله والمسيح الإنسان[٢]، ومبحث : في مشيئة الله ومشيئة العباد[٣].. وغير ذلك من المباحث وهي كثيرة في تفسيره.

كحديثه عن موضوع تعدد الزوجات عند تفسيره لقوله تعالى من سورة النساء:

مُّمَدَّدَةٍ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ عَمَدٍ تحت عنوان:(تعدد الزوجات: ضوابطه، وحكمته)

إن الذين يشغبون[٤] على الإسلام، ويشوشون عليه.. يقولون فيما يقولون عن هذا التعدد: لماذا يباح للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة، وأن يجمع بين أكثر من واحدة إلى أربع، ولا يباح للمرأة أن تتزوج أكثر من رجل، وأن تجمع بين أكثر من رجل إلى أربعة؟ أليس هذا هو العدل والمساواة.. إن كان عدل ومساواة؟

ونقول: إنه لكي ننظر إلى هذه المسألة، نظراً صحيحاً مستقيماً ينبغي أن ننظر إليها من جانبيها معاً.. جانب المرأة، وجانب الرجل كلّ على حدة، ثم كلّ في مقابل الآخر:

ففي جانب المرأة نجد:

أولاً: أن الطبيعة قد جعلت مواليدها من الإناث أكثر من الذكور، سواء

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٢ / ٣٧٨).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٤ / ٨٧).
(٣) التفسير القرآني للقرآن (٤ / ٢٦٤).
(٤) (الشغب): تهييج الشر وإثارة الفتن، والاضطراب والجلبة والخصام.(المعجم الوسيط)(٤٨٦/١).

ذلك في عالم الإنسان، أو الحيوان والطير.. وحتى في النبات، وقد يكون هذا التدبير المتصل بأصل الحياة، لكي تتكاثر المواليد، وتعمر هذه الأرض، إذ كانت الإناث هي الوعاء الحامل للمواليد، وعلى قدر هذه الأوعية وكثرتها يكون النسل وكثرته.

ثانياً: هذه الحروب- وهى سنّة من سنن الحياة البشرية- تذهب بكثير من الرجال، الأمر الذي إذا أضيف إلى سابقه قلّت به نسبة الرجال إلى النساء إلى درجة بالغة الخطر؛ إن لم يكن هناك عامل آخر يوازن هذا العامل ويقلل من خطره.

ونسأل: إذ لم يكن هناك عامل معدّل لهذا التفاوت البعيد، في النسبة بين أعداد النساء وأعداد الرجال- فأين يذهب هذا العدد العديد من النساء اللائي لا مقابل لهن من الرجال؟

جواب واحد لا غير لهذا السؤال: هو أن يمتن عانسات إذا تعفّفن- وقليل ما هنّ، أو يحيين حياة بهيمية مباحات لكل رجل إذا استجبن لغريزتهن- وما أكثرهن! أفهذا؟ أو أن تسكن المرأة إلى رجل مع أخرى غيرها أو أخريات، متحصنة في بيت الزوجية، مستظلة تحت جناح رجل يحميها، ويغار عليها، ويخرس قالة السوء فيها؟

ثم لنسأل:وهل مع هذه الإباحة المطلقة، وجد الرجال فرص الحياة وظروفها مواتية لهم، فسكن الواحد منهم إلى أكثر من واحدة؟

إن الواقع يشهد بأن أفراداً قلة- يعدّون في حكم الشاذ- هم الذين استعملوا حق الإباحة هذا.. أما الغالبية العظمى من الرجال فقد رغبوا عن هذا المباح، واكتفوا بامرأة واحدة، قطعوا الحياة معها.. بل وما أكثر الذين تتوفى زوجاتهم ثم لا يتزوجون بعدهن، وفيهم بقية شباب وصحة! إن التعدد- الذي أباحه الإسلام- لم يمكن على سبيل الإلزام، وإنما كان باباً من

أبواب الرحمة تفيد منه المرأة- غالباً- أكثر مما يستفيد منه الرجل حين لا تجد المرأة طريقاً تسكن فيه إلى رجل؛ إلّا مع أخرى أو أخريات، يشاركنها الحياة الزوجية معه.. فهي في هذه الحياة- على ما بها- خير من حياتها بلا رجل!

ثم نسأل أيضاً:أهناك- في هذه الإباحة- ما يرغم المرأة على أن تشارك غيرها في الزوج، أو يشاركها غيرها فيه؟ إن للمرأة الأولى أن تطلب الطلاق إذا تضررت من المرأة الثانية؛ كما أن للمرأة التي يراد لها أن تكون ثانية- لها أن ترفض الزواج من هذا الزوج، وهكذا في الثالثة والرابعة! ثم إن لأي امرأة أن تشترط عند الزواج أن تكون العصمة بيدها.

الأمر الذي يفتح لها الطريق إلى الخلاص من الزواج إذا تضررت منه! وندع المرأة.

وننظر في جانب الرجل، فنجد:

أولاً: أن الرجل يحتفظ بقوته وحيويته مدة أطول من المرأة التي تسبقه إلى الوهن والضعف بما تعانى من الحمل، والولادة، والرضاع، والتربية، وفى هذه الحالة قد يرى بعض الرجال أن يمسكوا بالزوجة- على ما بها- وأن يحصنوا أنفسهم، ويحفظوا دينهم ومروءتهم بزوجة أخرى.

وثانياً: قد تصاب المرأة بمرض يعجزها عن الوفاء بحاجة الزوج والقيام على شئون البيت، وهنا تبدو الحاجة إلى امرأة أخرى تؤدى الوظيفة التي عجزت عنها صاحبتها، وعندئذ يكون من الإعنات والحرج معاً أن يحجر على الرجل، فلا يجد سبيلاً إلى الخروج من هذا الوضع الأليم!

وفى إباحة الزواج للرجل بامرأة أخرى ما يتيح له في تلك الحال أن يفكر تفكيراً هادئاً عاقلاً، وأن يتخيّر لنفسه أي الأمرين أصلح له؛ الزواج بامرأة أخرى أو الصبر على ما هو فيه؟ وكثيراً ما يكون الأمر الأخير هو الرأي

الراجح الذي يميل إليه، ويأخذ به في أغلب الأحوال، رعاية للعشرة الزوجية، ووفاء لحقّ ما بين الزوجين من ألفة ومودة.. وذلك حين يكون للرجل- بسبب هذه الإباحة- فضل يتعزّى به، ويترضّى إنسانيته بما كان منه من إيثار وتضحية!! بقي أن ننظر إلى هذا الموقف من جانب آخر، وهو أن يغلق في وجه الرجل باب الخلاص من هذا الضيق الذي يعيش فيه تحت سلطان الإلزام والقهر، دون أن يكون للاختيار، والشعور بمعاني التضحية والإيثار مكان هنا إزاء هذا الإلزام القاهر الذي يحكم عليه فيه بأن يعيش مع امرأة مريضة، عاجزة، أو عقيم لا تلد!

ونسأل: كيف تكون حياة الرجل في هذا السجن الرهيب المخيف؟بل كيف تكون حياة المرأة نفسها مع هذا الرجل الذي يراها في تلك الحال حكماً أبدياً عليه بالشقاء والبلاء؟ إن المرأة في هذه الحال تكون أشقى من الرجل؛ إذ تجد نفسها أنها لعنة مفروضة على الرجل، وأنه لو كان لها الخيار في إفساح الطريق له لما ترددت في حلّ الرباط الذي يربطها به، ولطالبته بذلك قبل أن يطالبها هو به! ثم انظر ماذا يكون من العواطف الإنسانية، التي يوقظها هذا الشعور الذي يسيطر على الزوجين في ظل التشريع الإسلامي الذي أباح لهما الانفصال في تلك الحال، كما أباح للرجل أن يتزوج بأخرى، يضمها إلى زوجه الأولى..إن كلّا منهما يجد أنه في سعة من أمره، وأنه يملك وجوده وإرادته، كما أنه يحتفظ بمروءته وشخصيته.. فالرجل إذا احتفظ بامرأته في حالها تلك، ولم يتزوج عليها، أرضى جوانب كثيرة من عواطفه، تعوّضه كثيراً مما يلقى من ضيق وضرر معها.. والمرأة تشعر بأنها غير مفروضة عليه، وأنه أمسك بها بمحض اختياره، وآثر ألا يضارّها بأخرى حسب إرادته وتقديره..وأن الجانب الإنساني فيهما هو الذي يمسك برباط الحياة الزوجية بينهما.

وإذن، فهذا التعدّد الذي يشنّع به أعداء الإسلام على الإسلام، وينادون به على الملأ أنه من الموروثات البهيمية التي ورثها الإنسان عن الحيوان- هذا التعدد هو دواء لأدواء كثيرة، في محيط المرأة خاصة.. في أغلب الأحيان، كما أنه شفاء لبعض العلل التي تصاب بها الحياة الزوجية في بعض الأحيان! وهذا الدواء الذي يقدّمه الإسلام هنا ليس مفروضاً فرضاً لازماً على كل إنسان، وفى كل حال، بل إنه- شأنه شأن كل دواء- محكوم بحكم الحاجة، وبحسب الحالة، فمن خرج به عن هذا الحكم- حكم الدواء عند الحاجة- فقد ظلم نفسه، وجاوز حدود الله، وليس على الإسلام، ولا على شريعة الإسلام شيء من عدوانه وظلمه[1].

موقفه من التفسير العلمي:

لقد اشتمل القرآن الكريم على العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى الظواهر الكونية؛ ومع تأمل الدارسين في كتاب ربهم، واكتشافهم الكثير من الحقائق العلمية الثابتة مصداقاً لقوله تعالى في سورة فصلت: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ **إلَّا اهتم المفسرون بهذا اللون من التفسير**

تعريف التفسير العلمي:**«هو التفسير الذي يُحَكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها»** [2].

تعريف الإعجاز العلمي: **«هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة علمية أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل**

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٢/٦٩٣-٦٩٧)
(٢) التفسير والمفسرون للأستاذ الدكتور:محمد حسين الذهبي (٢/٥١١)طبعة: مكتبة وهبة.

البشرية في زمن الرسول ﷺ »[1].

الفرق بين التفسير العلمي، والإعجاز العلمي:

التفسير العلمي: هو تفسير القرآن الكريم في ضوء العلوم التجريبية من خلال ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية.

والإعجاز العلمي: هو إخبار القرآن الكريم بحقائق علمية أثبتها العلم الحديث بعد ذلك؛ فاعترف العلماء للقرآن الكريم بفضل السبق.

فالعلاقة بينهما هي: «أن التفسير العلمي طريق إلى الإعجاز العلمي وبدون التفسير العلمي لا يمكن الوصول إلى الإعجاز العلمي »[2]؛ لأن البحث في العلوم التجريبية هو الطريق الذي يوصلنا إلى الحقائق العلمية التي تحدث عنها القرآن.

«فالمفسر للتفسير العلمي: يجتهد في تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن بمكتشفات العلوم الحديثة محاولاً كشف الصلة بين الآيات القرآنية، ومكتشفات العلوم للدلالة على إعجاز القرآن وصلاحيته لكل زمان ومكان»[3].

إن الأستاذ الخطيب يرى« أن القرآن كتاب يقرر جميع العلوم فاهتم بالتفسير العلمي في تفسيره ويرى أن القرآن يلتقي مع العلم ويذوب فيه.

فعند تفسيره لسورة البقرة قال الخطيب: «..والحق أن القرآن الكريم يعرض قصة خلق آدم عرضاً محكماً ، يقف أمامه العلم . في جميع مستوياته . خاشعاً مستسلماً ، ويستقبله العقل . في مختلف أطواره . راضياً مسلّماً، لا يستطيع أن يجد فيه ثغرة للطعن ، أو النقض، ومع أن القرآن ليس كتاب علم

---

(١) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة للشيخ: عبد المجيد الزنداني؛طبعة:المكتبة العصرية.

(٢) تقييم الاتجاه العلمي للتفسير للدكتور:أحمد عطا عمر، من مقالات الانترنت.

(٣) منهج المدرسة العقلية في التفسير للدكتور: فهد الرومي (ص٥٥٠) بنحوه مع زيادة تحرير.

، وليس من همّه أن يقرر حقائق علمية فإنه في قضية خلق آدم ، قد أمسك بها من أطرافها ، وجاء بها على الوضع الذي يلتقي مع الحقائق العلمية في أصدق وجوهها وأضوائها؛ فمن شاء أن يلقى القرآن هنا بكل ما تكشف من العلم ، وما ثبت من حقائقه في قضية الخلق فليأت بما معه ، وليدل بحجته بين يدي كتاب الله؛ كمن يحمل الماء إلى البحر ، أو يرسل الضوء إلى الشمس(١).

وعند تفسيره لسورة النحل قوله تعالى :مُّمَدَّدَةٍ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ عَمَدٍ قال الأستاذ: الخطيب: عند تفسيره لهذه الآية تحت عنوان: « القرآن الكريم والحقائق الكونية »بعد أن عرض أقوال العلماء في التفسير العلمي ورأي المؤيدين والمعارضين..قال الأستاذ الخطيب: «والذي يمكن أن نقوله هو أن القرآن الكريم هو مادة العلم ، ومائدة العلماء ، وأنه مادة لا تنفد أبداً بالأخذ منها ، بل تزداد على الأخذ وتعظم ، وأنه مائدة تسع الناس جميعاً ، وتغذي عقولهم ومشاعرهم ، غداء طيّباً مشبعاً ، على اختلاف مداركهم ، وتباين مشاعرهم ..و إن العلم هو الذي يجعل لنا نظراً كاشفاً لبعض ما في آيات القرآن الكريم من روائع وعجائب ، وإن العلم هو الذي يعين على فهم المستور من أسرار الكتاب الكريم ، وما أودع فيه من علم وحكمة ..إن العلم ليلتقي مع القرآن الكريم لقاء الماء يدفع به السيل في صدر المحيط فيذوب فيه ، ويصبح بعض مائه ، إذ ليس العلم كله ـ ما عرف الناس منه وما سيعرفون ـ إلا قطرة أو قطرات من محيط هذا البحر الزخار ..مُّمَدَّدَةٍ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١ / ٦٠).

نَفِدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ عَمَدٍ [1] فإذا انكشف للناس في الحياة ضوءة من أضواء العلم ، فهي بعض ما في القرآن الكريم من علم ، إذ كان مجتمع آيات الله ومكنون علمه هذا ، ومع قولنا بأن القرآن الكريم قد حملت آياته المطهرة أسراراً عجباً ، تتكشف حالاً بعد حال ، كلما جاء إليها الناس بمزيد من العلم والمعرفة . فإننا لا نعرض القرآن الكريم على المخترعات العلمية، ولا الآيات الكونية ، التي تنكشف للناس زمناً بعد زمن .. إذ ليس القرآن الكريم كتاب علم يشرح للناس قضايا العلوم .. من طب ، وهندسة ، وفلك ، ورياضة وغيرها .. وإنما هو كتاب عقيدة، وشريعة ، يتجه أول ما يتجه إلى ضمير الإنسان ليصحح صلته بخالقه ، ثم يقيم لهذه الصلة من التشريع ما يمسك بها سليمة قوية في كيانه .. فإذا تمّ ذلك ، صحح صلة الإنسان بالإنسانية ، ووضع لذلك من التشريعات ما يقيم هذه الصلة بين الناس .. على أساس من الحق، والعدل، والإحسان ..تلك هي المهمة الأولى للقرآن الكريم، وقد انكشفت هذه الغاية من القرآن الكريم للمسلمين في الصدر الأول للإسلام ، انكشافاً تاماً ، فأخذوا حظهم كاملاً منها ، على نحو لم يكن للخلف من بعدهم أن يبلغوا منه بعض ما بلغوا على وجه لم تشهد الحياة مثيلاً له في سموّ الإنسان وعظمته ، واستعلائه على كل ضعف بشرى .

وعند تفسيره لسورة الرحمن قوله تعالى : يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ عَمَدٍ

قال الأستاذ/الخطيب: « نداء إلى الجنّ والإنس ، بأن يختبرا قوتهما وسلطانهما أمام قوة الله وسلطانه .. إنهما محاسبون ومسئولون بين يدي

---

(١) من سورة الكهف.

الله ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ عَمَدِ[1] .. وإنه ليس لهما ملجأ من الله إلا إليه .. فإن استطاعوا أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض فلينفذوا ..ولكن إلى أين؟ إنهم لا ينفذون إلى أي قطر من أقطار السماوات والأرض ، إلّا وهم واقعون تحت سلطان الله مسيّرون به ..[2] إلى أن قال الخطيب: «وأقطار السماوات والأرض جوانبهما ، والقطر هو الخط الذي يصل بين طرفي الدائرة مارّاً بمركزها ..وعلى هذا فيكون معنى النفوذ من أقطار السماوات والأرض هو الانتقال من فلك إلى فلك ، ومن كوكب إلى كوكب ..وفي التعبير بلفظ أقطار عن نهاية كل فلك أو كوكب . إشارة إلى كروية الأفلاك والكواكب .

وهذا ما أثبته العلم الحديث من كروية الفلك ، والنجوم ، والكواكب ، وأنّ الوجود كلّه دائري ..وفي التعبير عن السماوات بصيغة الجمع ، وعن الأرض بلفظ المفرد . إشارة إلى أن السماوات عوالم وأكوان بعضها فوق بعض ، أو محيط بعضها ببعض ، وأن الأرض عالم واحد له قطر واحد .. وأما قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ الطلاق[3] فليست المثلية هنا في العدد ، وإنما هي من حيث اختلاف طبقات الأرض التي تبدأ من وجه الأرض وقشرتها إلى وسط المركز منها .. فقشرة الأرض تراب ، وطين ، ورمال، وأحجار .. تم تلي ذلك طبقات ، كل طبقة ذات طبيعة خاصة ، وعلى درجة حرارة خاصة تتكون منها المعادن ، والجواهر .. من الحديد، والنحاس ، والذهب ، والفضة ، والألماس ، وهكذا ..فالأرض واحدة في كيانها وجرمها ،

---

(١) من سورة الرحمن.
(٢) التفسير القرآني للقرآن(٦٨١/١٤).
(٣) من سورة الطلاق .

وهي سبع في طبقاتها ، واختلاف طبيعة كل طبقة ، ولهذا جاء التعبير القرآني المعجز :﴿مُّمَدَّدَةٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ عَمَدٍ ولم يجئ : ومن الأرضين مثلهن .. حيث تدل المثلية هنا في التعبير غير القرآني على مثلية العدد نصاً؛ أما التعبير القرآني فالمثليّة فيه مثلية في تنوع العوالم واختلاف المنازل» (١).

موقفه من علم المتشابه اللفظي في الآيات القرآنية:

علم المتشابه اللفظي هو: «إيراد القصة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء. وحكمته: التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكرراً» (٢).

ذكر الأستاذ الخطيب في تفسيره بعض الآيات المتشابهة في اللفظ، وكررت في أكثر من موضع ؛ فعند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿مُّمَدَّدَةٍ ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ عَمَدٍ .

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب: « في قوله تعالى :﴿مُّمَدَّدَةٍ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ إشارة إلى تدفق الماء بقوة وغزارة؛ أكثر مما في قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿مُّمَدَّدَةٍ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا عَمَدٍ .. فالانبجاس دون الانفجار قوة وأثراً» (٣).

موقفه من زيادة حرف في القرآن الكريم:

---

(١) التفسير القرآني للقرآن(١٤/٦٨٢-٦٨٣).
(٢) البرهان في علوم القرآن للإمام: الزركشي (١/١١٢) ط : دار إحياء الكتب العربية.
(٣) التفسير القرآني للقرآن (١ /٩٠) وجزء الآية(١٦٠) من سورة الأعراف.

حرف الجر الزائد: « هو الذي يمكن الاستغناء عنه في الكلام ، ومن حروف الجر التي تأتي زائدة :من، والباء،والكاف، ورب» [1].

يقول أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز: « دع عنك قول الذي يقول في بعض الكلمات القرآنية إنها مقحمة ، وفي بعض حروفه إنها زائدة زيادة معنوية، ودع عنك قول الذي يستخف كلمة التأكيد فيرمي بها في كل موطن يظن فيه الزيادة لا يبالي أن تكون تلك الزيادة فيها معنى المزيد عليه فتصلح لتأكيده أو لا تكون ولا يبالي أن يكون بالموضع حاجة إلى هذا التأكيد أو لا حاجة له به أجل دع عنك هذا وذاك؛ فإن الحكم في القرآن بهذا الضرب من الزيادة أو شبهها إنما هو ضرب من الجهل مستوراً أو مكشوفاً بدقة الميزان الذي وضع عليه أسلوب القرآن » [2].

نجد الأستاذ: عبد الكريم الخطيب يرفض قول النحاة بأن الكاف زائدة ، فليس في كلمات الله ما يحتاج إلى علل النحاة؛ فعند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة :مُّمَدَّدَةِۭوَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ وَيۡلٌ عَمَدِ

قال الأستاذ الخطيب: « أكثر المفسرين على أن الكاف في « كمثلهم » زائدة ؛ باعتبار أن كلمة «مثل» أداة للتشبيه، والكاف أداة للتشبيه، ولا تجتمع الأداتان على مشبّه به واحد، وعلى هذا تكون الصورة هكذا :مُّمَدَّدَةِۭ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي عَمَدِ..وبلاغة القرآن أعظم وأسمى من أن تخضع لمقاييس النحو وتخريج النحاة! فليس في كلمات الله ما يحتاج إلى علل

---

(١) القواعد الأساسية في النحو والصرف تأليف: يوسف الحمادي، و محمد الشناوي ، ومحمد شفيق عطا (ص١٣٥) طبعة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (١٩٧٠م).

(٢) النبأ العظيم للدكتور: محمد عبد الله دراز(ص١٣١) طبعة: دار الثقافة ـ الدوحة.

النحاة، ومما حكاتهم ، ليستقيم على علمهم ، ولينضبط مع قواعدهم . وحسب القرآن أن يقول قولاً ، أو ينهج أسلوباً ، فيكون قوله الحق ، وأسلوبه الفصل ، ولا عليه أن تضطرب قواعد النحو ، وتتبلبل عقول النحاة! والأمر هنا . فيما يتعلق بالكاف في « كمثل » . يجرى على أسلوب القرآن كله في إعجازه ، واستيلائه على أعنّة البلاغة وأزمّتها»[1].

قلت: لقد أفلح الأستاذ الخطيب فيما ذهب إليه بقوله: «وبلاغة القرآن أعظم وأسمى من أن تخضع لمقاييس النحو، وتخريج النحاة»، وأنا أوافقه فيما ذهب إليه أنه لا زيادة في القرآن الكريم.

يقول أستاذنا الدكتور: حسن أحمد محمد جبر«الزيادة بمعنى أنه يمكن الاستغناء عنها في كلام الله تعالى دون تأثير في المعنى يعني: أنها زيادة لا تفيد في المعنى شيئاً ولا في قوة ودقة وبلاغة أسلوب القرآن فهذا مالا نظن أن يقول به أحد من العلماء؛ فليس هناك حرف في القرآن لا فائدة منه في المعنى؛ بل كل حرف له فائدة ودلالة في موضعه فلا يستغنى عنه ، ولذلك نجد من العلماء من يتحاشا عن ذكر حرف زائد فيعبر عنه بكلمة صلة ، ومن يعبر عن حرف زائد أنه يقصد زيادة صناعية نحوية إعرابية لا زيادة في المعنى يمكن الاستغناء عنها ؛ فالقرآن الكريم منزه عن ذلك!! [2]

وعند تفسيره لقوله تعالى من سورة المدثر قوله تعالى :﴿مُّمَدَّدَۢ ۝٣ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٤ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٥ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٦﴾ عَمَدٍ قال الأستاذ الخطيب: «يرى كثير من النجاة

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١ /٣٦-٣٧)

(٢) تحقيق ودراسة حاشية العلامة عطية الأجهوري المسماة بالكوكبين النيرين في حل ألفاظ الجلالين وذلك من أول تفسير سورة الأنبياء إلى آخر تفسير سورة النور(ص٨٦) إشراف:أ.د/محمد سعيد عرام، وأ.د/حسن أحمد محمد جبر-رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن -بكلية أصول الدين فرع الزقازيق.

وتابعهم في هذا كثير من المفسرين أن هذه الفاءات زائدة ..ونحن على رأينا من أنه ليس هناك حرف زائد في كتاب الله الكريم ، وأن كل حرف أو كلمة ، لها دلالتها التي لا يتم المعنى المراد في القرآن إلا بها ..وهذه الفاءات ، هي من نوع الفاء في قوله تعالى :﴿ مُمَدَّدَةٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ عَمَدٍ فالفاء في قوله تعالى :﴿ مُمَدَّدَةٍ فَأَنذِرْ عَمَدٍ واقعة في جواب الأمر ..وكذلك الفاءات في قوله تعالى : ﴿ مُمَدَّدَةٍ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ عَمَدٍ - هي واقعة في جواب أمر مقدر معطوف على قوله تعالى في أول السورة : ﴿ مُمَدَّدَةٍ قُمْ عَمَدٍ..وعلى هذا يكون المعنى في ابتدائه على هذا الوجه : يا أيها المدثر قم فأنذر الناس ، وقم فكبر ربك ، وقم فطهر ثيابك ، وقم فاهجر الرجز ..ثم للاهتمام بالمفعول به.. قدم هذا المفعول على الفعل في قوله تعالى : ﴿ مُمَدَّدَةٍ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ عَمَدٍ وحذف فعل الأمر ﴿ مُمَدَّدَةٍ قُمْ عَمَدٍ المكرر في الآيات الثلاث ؛ اكتفاء بتقديره وراء حرف العطف « الواو » الذي يأخذ نصيبه معنى لا لفظاً من الفعل ﴿ مُمَدَّدَةٍ قُمْ عَمَدٍ في قوله تعالى : ﴿ مُمَدَّدَةٍ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ عَمَدٍ [1].

وبعد أن ذكر قول النحاة في الفاءات ،وانتقد أقوالهم وقدم فيها رأياً يرتضيه ..قال الأستاذ الخطيب بعد ذلك : «و في الحق أن هذا التخريج النحوي لا ينبغي أن ندخل به على آيات الله ، فذلك مما لا يتفق ومقام الإعجاز القرآني ، الذي يزرى بقدره أن يوزن بميزان الكلام البشرى ، الذي يخضع للضرورات ، ويقبل الخطأ والانحراف .. تماماً كما يزرى بقدر الذهب أن يوزن بميزان الحصى ، إن كان للحصى ميزان ..وحسبنا في هذا المقام

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (١٥ / ١٢٨١)

أن نقف بين يدي مثل هذه الآيات . التي يجد فيها النحاة مجالاً للقول . فنضرب صفحاً عن النحو ومقولاته ، ونفتح قلوبنا ، وعقولنا إلى هذا النور الذي يتدفق من آيات الله وكلماته ، فيكشف لنا معالم الطريق إلى مواقع الهدى ، والخير والفلاح» [1].

قلت: لا ينبغي أن نأخذ كلام الأستاذ: الخطيب على الإطلاق لاسيما قوله:« فنضرب صفحاً عن النحو ومقولاته..»؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، واعتقد أن الأستاذ الخطيب يقصد بذلك: قول النحاة بالحروف الزوائد في القرآن الكريم، وأنه يرفض القول بذلك؛ لأنه لا يتفق مع مقام الإعجاز القرآني، وأن بلاغة القرآن أعظم من أن تخضع لمقاييس النحاة.

موقفه من التفسير الإشاري

تعريف التفسير الإشاري: «هو تأويل آيات القرآن الكريم على معنى غير ما يظهر منها لمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة»[2].

ولاشك أن هناك خلافاً بين العلماء في قبول هذا النوع من التفسير، ومن شروط العلماء لقبوله:

أولاً: أن يعترف المفسر بالمعنى الظاهر للآية، ولا يدَّعى أن التفسير الإشاري هو المراد وحده .

ثانياً: ألا يتنافي تفسيره مع ظاهر نظم القرآن الكريم.

ثالثاً: أن يؤيد تفسيره بدليل شرعي.

---

(١) ينظر:التفسير القرآني للقرآن (١٥ / ١٢٨٢)

(٢) علوم القرآن الكريم للدكتور: نور الدين عتر(ص٩٧)

رابعاً: ألا يتعارض تفسيره مع الشرع أو العقل.

خامساً:ألا يكون تفسيره تأويلاً بعيداً سخيفاً [1].

فهذه شروط لقبول التفسير الإشاري، وليست شروطاً لوجوب الأخذ به.

ومعنى قبوله؛ لأنه لا يتنافي مع ظاهر القرآن الكريم، وله شاهد شرعي يؤيده .

ومعنى لم يجب الأخذ به: لأن النظم الكريم لم يوضع للدلالة عليه؛ بل هو من قبيل الإلهامات التي تلوح لأصحابها غير منضبطة بلغة، ولا مقيدة بقوانين» [2].

كان للأستاذ الخطيب نزعة صوفية إشارية في تفسيره ؛ فعند تفسيره لسورة المدثر قوله تعالى : ﴿مُمَدَّدَةٍ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ عَمَدٍ

قال الأستاذ الخطيب: « نقول . والله أعلم . إن القسم بالقمر ، والليل المدبر، والصبح المسفر هو إشارة إلى مبعث النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وإلى ما بين يدي مبعثه وما خلفه من مجريات الأحداث التي تطل على الناس ..فالقمر . والله أعلم . هو إشارة إلى الرسالات السماوية التي سبقت عصر النبوّة .. فقد كانت تلك الرسالات هي النور ، الذي يشعّ في وسط هذا الظلام المخيم على العالم ، وأن نور هذا القمر لا يمنح الناس رؤية كاشفة ، وإن أراهم مواقع أقدامهم. وألقى في قلوبهم شيئاً من الطمأنينة والأنس ، ثم إنه لا يلبس أن يختفي ويتحول عن الناس .. و إسفار الصبح هو إيذان بمبعث النبي ﷺ، وأنه الشمس التي ستشرق على هذا الوجود ، وأن أضواء

---

(١) مناهل العرفان(٨١/٢)

(٢) المرجع السابق(٨١/٢) بتصرف.

شمس النبوة قد أزاحت ظلمة الليل عن هذا الوجود وأنه سرعان ما تطلع الشمس فتملأ الوجود ضياء ، وتكسو العالم حلّة من بهاء وجلال حيث تنكشف حقائق الأشياء ، وتسفر عن وجهها لكل ذي بصر يبصر ، ومن شمس النبوة المحمدية استمدّت الرسالات السابقة نورها من ضوء هذه الشمس قبل أن يستقبل الوجود مطلع هذه الشمس ، فلما طلعت محت بضوئها آية القمر ، وكان على من يريدون أن يسيروا على هدى ونور أن يستقبلوا هذا النور ، وأن يملئوا أعينهم به »[1].

قلت: لاشك أن ما ذكره الأستاذ الخطيب هو اجتهاد يفتقد إلى الدليل الشرعي الذي يؤيده ولكنه لايتعارض مع نص الآية ظاهراً.. والقسم بآيات كونية ينبهنا ويدلنا إلى التأمل فى مظاهر قدرة الله ﷻ ، وكيف سخر الله لنا هذه النعم لننتفع بها.

موقفه من الفرق بين النبي والرسول:

فعند تفسيره لقوله تعالى من سورة الحج: ﴿مُّمَدَّدَةٍ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ عَمَدٍ

قال الأستاذ الخطيب: «وهنا نحبّ أن نشير إلى أن الآية الكريمة قد تحدّثت عن الرسول ، وعن النبي ، باعتبار أن لكل منهما صفة خاصة ، وأنهما لو كانا على صفة واحدة لما جاءت بهما الآية على هذا النظم الذي جاء العطف فيه بين الرسول والنبي بإعادة حرف النفي الذي يؤكد لكلّ من الرسول والنبي ذاتيته .. والذي عليه الرأي عند المفسرين والفقهاء ، أن كلاً من الرسول والنبي يوحى إليهما من الله، ولكن الرسول ينفرد بأنه صاحب

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٥ / ١٣٠١)

شريعة يتلقاها من الله ، ويدعو إليها الناس .. بخلاف النبي الذي لا شريعة معه ، وإنما هو على شريعة رسول سبقه ، وأنه يدعو إلى شريعة هذا الرسول فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً وعلى أي ، فإن الرسول صاحب كتاب سماوي أو صحف سماوية .. أما النبي فلا كتاب ولا صحف معه »[1].

قلت:وهذا ما أوافق عليه الأستاذ الخطيب لقوله تعالى من سورة النساء:

مُّمَدَّدَةٍ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ عَمَدٍ

(١) التفسير القرآني للقرآن(٩ / ١٠٦٧-١٠٦٨)

المبحث الرابع

موقفه من الدخيل والإسرائيليات

تعريف الدخيل: «**هو الوافد الذي تسلل من الخارج وليس له أصل في المحيط الذي تسلل إليه، ويستعمل في الأشخاص، والألفاظ، والمعاني، وما أشبه ذلك**» [١].

أو هو كل كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه، وفلان دَخِيلٌ بين القوم: أي ليس من نسبهم بل هو نزيل بينهم[٢]، «**وفلانٌ دَخِيلٌ في بَنِي فلانٍ – ليس مِنْهم**[٣]»، «**والدخل : جمع دخيل : وهو المداخل ، والمقيم في غير قومه أيضاً**» [٤] «**والدَّخَلَ طائر ، سمّي بذلك لدخوله فيما بين الأشجار الملتفّة**» [٥].

وتعريف الإسرائيليات: **لفظ «الإسرائيليات جمع مفرده «إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق أبو الأسباط الاثنى عشر، و«إسرى» بمعنى عبد أو صفوة ، و«إيل» بمعنى الله فيكون معنى الكلمة «عبد الله وصفوته من خلقه»** [٦].

---

(١) الدخيل في تفسير القرآن للدكتور: عبد الوهاب فايد .
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للإمام: أحمد بن علي المقري الفيومي(١/١٩٠)
(٣) المخصص ـ لابن سيده للإمام: ابن سيده أبي الحسن علي بن إسماعيل (١/٣٠٠)
(٤) إكمال الأعلام بتثليث الكلام للإمام: محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني(١/٢١٠) .
(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب (١/٣٠٩)
(٦) تاريخ التفسير ومناهجه للأستاذ الدكتور: السيد أحمد سويلم(١٣٢) طبعة:مركز آيات (٢٠٠٠م).

موقفه من نظرية النشوء والارتقاء:

تأثر الأستاذ: الخطيب بهذه النظرية في تفسيره؛ فبعد تفسيره لآيات خلق آدم عليه السلام في سورة البقرة.. قال الأستاذ الخطيب: فمثلاً «نظرية دارون» في أصل الأنواع ، وفي النشوء والارتقاء، هذه النظرية كانت ولا تزال عند كثير ممن أخذوا فهم الآيات القرآنية في خلق آدم عليه السلام، عن هذه النقول الخرافية ، وهذه المقولات الأسطورية التي جمعها المفسرون والقصّاص من كل ساقطة ولاقطة . كانت ولا تزال هذه النظرية عند كثير من هؤلاء من الكفريات، والإلحاديات التي إن جرت على لسان كان مجرد جريانها عليه كفراً وإلحاداً!! ولهم عذرهم في هذا!! فالذين قرءوا في كتب التفاسير والقصص أن آدم عليه السلام خلق في الملأ الأعلى ، وأن طينته غرست في جنة عدن ، أو جنة الخلد ، أو غيرهما من الجنان . على اختلاف روايات المفسرين في هذا . هؤلاء الذين قرءوا هذه المقولات في نشأة آدم عليه السلام ، يرون أن كل قول يخالف هذا هو خروج على الدّين، بل خروج من الدين! في حين أن هذا الأمر كلّه ليس فيه شيء من الدين ، ولهذا أباح المفسرون أن يترخصوا في الحديث عنه ، وألا يلتزموا فيه حدّاً فكان لكل منهم مقولاته التي قرأها أو سمعها ، أو توهمها ؛ لأن هذا الأمر ليس من باب التشريع والأحكام ، فتتحرّى له الصحة والضبط.

على أن مقولات « دارون » التي أنكرها علماء الدين ، وهاجوا وماجوا من أجلها ، إنما تقوم على علم وتجربة ، وقد يكون فيها قليل أو كثير من الخطأ في الاستنتاج ، ولكن الذي ينبغي أن يكون عليه موقف العقل إزاءها هو الاحترام لها ، والتقدير للجهد الذي بذل فيها ، وما دامت ترجع إلى التجربة ، وتحتكم إلى العقل ، فإن كل عقل مدعوّ إلى الوقوف عندها ، والنظر فيها وأخذ ما يطمئن إليه منها .. أما صدّ العقل عنها ، وفراره من بين

يديها ، فذلك إزراء بالعقل ، وامتهان له ، وتعطيل للوظيفة التي خلق لها ، وخروج على دعوة القرآن التي دعاه إليها. ثم إن « داروين » الذي أثار هذا الإعصار العاصف ، في عقول رجال الدين ـ من كل دين ـ لم يكن منكراً للّه ، ولا كافراً به ، بل إنه ـ فيما يروى عنه ـ كان من أشد الناس إيماناً بالله ، وشهوداً له في آياته ، التي رآها رأى العين ، فيما أبدع الخالق وصوّر من مخلوقات متطورة ، تتحرك في مسار الحياة من الطين ، إلى أن تكون إنساناً عاقلاً ، حكيماً عالماً ، نبيّاً يطاول السماء فيتناول بيديه كتاب الله ، ويسمع بأذنيه كلمات الله!

يقول « داروين » في حديثه عن أصل مذهبه : « إن المشابهة ، وأسباباً أخرى ، تدعونا ضرورة إلى الاعتقاد بأن الأحياء أصلها واحد، وألّا فاصل جوهرياً بين العالمين: عالم النبات، وعالم الحيوان ..ثم يقول دارون :« إني أرى فيما يظهر لي، أن الأحياء عاشت على هذه الأرض من صورة واحدة أولية، نفخ الخالق فيها نسمة الحياة »[1]! وإذا كان لأحد أن يقف من «دارون» موقف الهلع والخوف على معتقده الديني فليس هو المسلم الذي يعترف دينه بالعقل وبحقه في البحث والنظر ، وفي احترام مؤدّى هذا البحث والنظر الذي لا يقوم على هوى ، ولا يستند إلى سلطان غير سلطان الحجة والبرهان! ثم إنه إذا كان لأي دين أن يجافي مقولات«داروين »أو أن يضيق بها فليس هو الدين الإسلامي الذي تكاد تنطق آياته بما أعيا «داروين» والعلم الحديث، الوقوف عليه من أسرار الخلق وعظمته! ومع ما نعرف من أن القرآن الكريم ليس كتاب علم ، وأن الرسالة الإسلامية لم تجئ لتقرير

(١) مذهب النشوء والارتقاء ـ الكتاب الأول ، الجزء الأول ، للمرحوم إسماعيل مظهر (ص ٤٧).

حقائق علمية [1] - فإن في عرضه لمشاهد الكون وفي كشفه عن مظاهر الوجود ، لمحات مضيئة ، وإشارات مشرقة يجد فيها العلم الحديث مستنداً لمقولاته ، ومجازاً لمقرراته.. »[2].

وعند تفسيره لسورة آل عمران: ﴿ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ عَمَدٍ فبعد تفسير الأستاذ الخطيب لهذه الآية قال:«وانظر في وجه هذه المعجزة على ضوء ما كشف العلم الحديث ، من علم الأحياء ، ونظرية النشوء والارتقاء ؛ فإنك ترى عجباً من العجب في نظم القرآن الكريم ، وما يحمل هذا النظم من أسرار وغيوب إن آدم عليه السلام ونعني به الإنسان . لم يخلق من تراب خلقاً مباشراً ، بمعنى أن الله سبحانه قبض قبضة من تراب ، فقال لها كوني آدم . أي إنساناً . فكانت .. ولو شاء الله سبحانه هذا لكان كما شاء وأراد .. ولكنه . سبحانه . خلق آدم خلقاً متطوراً ، كما يخلق الشجرة العظيمة . مثلاً . من بذرة ، وكما يخلق الرجل المكتمل من نطفة! لقد تنقّل آدم عليه السلام . ونقول الإنسان . في أطوار كثيرة لا حصر لها ، كما يقول سبحانه : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ عَمَدٍ [3] .

وكما يقول سبحانه في هذه السورة: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ عَمَدٍ [4] فآدم عليه السلام الذي هو أول إنسان ظهر على هذه الأرض . قد كان تراباً ..ثم تخلّق من هذا التراب أول جرثومة للحياة هي أدنى مراتب النبات في عالم الطحالب .. ثم تدرجت الأحياء في هذا العالم النباتي إلى مداها، فكان منها

---

(١) يقول الأستاذ الخطيب في أسفل الصفحة انظر في هذا كتابنا - إعجاز القرآن - الجزء الثاني.
(٢) التفسير القرآني للقرآن (١ /٦٥-٦٦).
(٣) الآيتان من سورة نوح.
(٤) من سورة نوح .

النخل الذي هو قمة هذا العالم النباتي ، ثم بدأت جرثومة العالم الحيواني في الإميبيا، والمحّار ، والإسفنج .. وذلك في أدنى مراتب هذا العالم الذي نما صعداً حتى بلغ مداه في فصائل القردة ، التي بدأت تطل من وجهها صورة باهتة للإنسان « آدم » ثم أخذت هذه الصورة تتضح قليلاً قليلاً، وتنضج في بوتقة الزمن على مهل .. حتى كان اليوم الذي أطل منه وجه « آدم » ، ممثلاً في إنسان الغاب. وكان هذا الآدم هو باكورة ثمار هذه الشجرة التي امتدت جذورها في أعماق الأرض! واقرأ الآية الكريمة مرة أخرى : ﴿مُّمَدَّدَةٍ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ عَمَدٍ »[1] .

قلت: إن القرآن الكريم لم يقر نظرية التطور على زعم دارون؛ كما استشهد الأستاذ الخطيب بقوله في سورة نوح:﴿مُّمَدَّدَةٍ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ عَمَدٍ بأن الإنسان تنقل في أطوار كثيرة لا حصر لها، فهذا مردود بل المراد تطور خلق الإنسان كما ذكر الله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿مُّمَدَّدَةٍ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ عَمَدٍ، أو مراحل الأطوار التي مر بها آدم عليه السلام من مبدأ خلقه حتى نفخ الروح فيه خلقه من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخار.

إن نظرية دارون: انتشرت في وقت أذن الله فيه أن يظهر تحريف النصرانية، فكان لتقدم العلوم أثر كبير في كشف زيف ذلك الدين.

وخلاصة هذه النظرية يزعم دارون: أن أصل الإنسان حيوان صغير نشأ

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٢ / ٤٨١).

من الماء، ثم أخذت البيئة تفرض عليه من التغييرات في تكوينه، مما أدى إلى نشوء صفات جديدة في هذا الكائن، وأخذت هذه الصفات المكتسبة تورَّث في الأبناء حتى تحولت مجموع هذه الصفات الصغيرة الناشئة من البيئة عبر ملايين السنين إلى نشوء صفات كثيرة راقية جعلت ذلك المخلوق البدائي مخلوقاً أرقى، واستمر ذلك النشوء للصفات بفعل البيئة والارتقاء في المخلوقات حتى وصل إلى هذه المخلوقات التي انتهت بالإنسان.

أو أن الإنسان الأول كان أقرب إلى الحيوانات ترقى من الشمبانزي، وهو نوع من القرود، وكيف أنه كان يترقى بانحناءاته وطريقته في المشي، وزوال الشعر عن جسده إلى أن وصل إلى الإنسان الحجري.. ولاشك أن هذا رجم بالغيب، وقد قال الله تعالى في سورة الكهف: ﴿مُّمَدَّدَةٍ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ عَمَدٍ فهل كان سيدنا آدم عليه السلام وحاشاه من ذلك!! أقرب ما يكون للقرود، ثم تطور بعد ذلك..وعلى ذلك فأي معنى لاستخلاف هذا الإنسان وتكليفه في هذه الأرض

فهذه النظرية الفاشلة بكل المقاييس والتي أثبت العلم بطلانها منذ عقود تُستعمل لتحريف وتشكيك الشباب في عقيدتهم وفي دينهم [1] .

قلت: لقد أيد الأستاذ: الخطيب دارون في أن أصل الإنسان هو القرد ، وهذا يتنافى مع تكريم الله ﷻ للإنسان قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿مُّمَدَّدَةٍ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ عَمَدٍ .. فأي تكريم للإنسان بعد أن كان قرداً.. وقد أثبت

---

(١) وللمزيد من بيان زيف وبطلان هذه النظرية؛ ينظر:(العقيدة في الله) للدكتور: عمر بن سليمان الأشقر (ص٨٣) وما بعدها؛طبعة: دار النفائس ، الأردن(١٩٩٩ م)، وينظر:(الإسلام في عصر العلم) للأستاذ/محمد فريد وجدي(ص٧٩٧).

العلم الحديث بطلان نظرية دارون، ولا ينبغي لمن يفسر القرآن أن يفسره بالنظريات العلمية القابلة للخطأ والصواب من حين لآخر، بل يجوز تفسير القرآن بالحقائق العلمية الثابتة التي قد تكون سبباً في دعوة الأمم الأخرى إلى الإسلام.

وترتب على ذلك عدم التزام المفسر بمصادر التفسير الأصلية وأصوله الصحيحة الثابتة المتفق عليها عند أهل التفسير.

موقفه من قصة الغرانيق:

فعند تفسيره لقوله تعالى من سورة الحج: ﴿مُّمَدَّدَةٍ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ عَمَدٍ

قال الأستاذ: الخطيب «هذه الآية الكريمة ، هي التي ولّد منها المفسّرون، وأصحاب السّير ، قصة « الغرانقة »[1] ...وذكر الأستاذ الخطيب أربع روايات في هذه القصة...وقال –الأستاذ الخطيب–:«ونقول:إن هذه الروايات، وتلك النقول، كانت موضع إنكار، واستنكار عند بعض المفسّرين ، وأصحاب السير .. إذ كانت . في صورتها تلك . عدواناً صارخاً على مقام النبوّة ، ونسخاً صريحاً لعصمة النبيﷺ.!

وقد كان القاضي عياض خير من تصدّى لهذه الأكذوبة ، وفضح مستورها ،وعقد لذلك فصلاً في كتابه : « الشفا بتعريف حقوق المصطفي

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٩ / ١٠٦١).
وقال الخطيب في أسفل الصفحة «الغرانيق : جمع غرنيق ، أو غرنوق (بضم الغين) أو غرانق (بضم الغين أيضاً) وهو طائر مائي يشبه الكركي ، ويشبه به الشاب الأبيض الجميل كما يشبه به الملائكة». التفسير القرآني للقرآن (٩ /١٠٧٤).

»[1] وذكر هذا الفصل الأستاذ الخطيب في تفسيره[2] بما يبطل قصة الغرانيق سنداً ومتناً.

وقال الأستاذ الخطيب بعد سرده للروايات:« تلك هي القصة ، أو الأكذوبة ، كما جاءت في كتب السير ، وعلى ألسنة القصاص ، ونقلها المفسّرون ، وتداولها اللاحق منهم عن السابق، وذلك أسلوب من أساليب دفعها، وتكذيبها. والقصة أو الأكذوبة . كما ترى . مهلهلة النسج ، واهية البناء ، أراد مخرجوها أن يخفوا عوارها ، ويداروا هزالها ، فألقوا إليها كثيراً من الرقع حتى لكاد يختفي الأصل، ولا يرى منها إلا تلك المرقعات التي أضيفت إليها! فالمادّة التي تخلّقت منها القصة مادة فاسدة ، لا يتخلّق منها شيء يصلح أن يعيش في الحياة ، وأن يكتب له بقاء في عالم الأحياء»[3].

ويقول الأستاذ الخطيب: «والحديث أيّا كان سنده ، فإن القرآن الكريم ينطق بهذا في قوله تعالى:مُّمَدَّدَةٍ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَمَدٍ [4] . فهذا حكم قاطع بأن الرسول ﷺلا ينطق عن هوى ، ولا يبلغ عن الله إلا ما يوحى إليه .. فكيف يكون للقول بأن الرسول ﷺ نطق بكذا وكذا مما ليس من عند الله ، ثم يتعلّل لذلك بأنه كان سهواً ، أو حديث خاطر ، أو نحو هذا . كيف يكون لهذا القول مكان من القبول على أي وجه من الوجوه مع قول الله تعالى : مُّمَدَّدَةٍ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَمَدٍ ؟

إن تلك الفرية مما دسّ على المسلمين ، في غير انتباه منهم إليه ، ولا تقدير للشر الذي ينجم عنه ، وشغلهم الخبر بغرابته وإثارته عن أن ينظروا

---

(١) التفسير القرآني للقرآن(٩/١٠٧٥).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٩ /١٠٧٦)وما بعدها.
(٣) التفسير القرآني للقرآن(٩/١٠٨٠).
(٤) الآيتان من سورة النجم.

فيه نظراً متفحصاً دارساً ..ولو أنهم فعلوا لما كان لهذا الحديث مكان في كتب الحديث ، أو الفقه ، أو التفسير ، سواء أ كان ذلك لمجرد نقل الخبر، ثم تجريحه ، وتكذيبه ، أو كان لنقله ، ثم نصب العلل التي تخرج به عن مفهومه .. فهو حديث خرافة ، لا ينبغي النظر إليه ، أو الوقوف عنده.

و بعد.. فإن مفهوم الآية الكريمة : ﴿ مُّمَدَّدَةٍ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾ عَمَدٍ

نقول إن مفهوم الآية الكريمة على هذا الوجه الذي قامت في ظله قصة « الغرانقة العلا » ـ هو اتهام لرسل الله وأنبيائه جميعاً؛ بأنهم تحت سلطان الشيطان ، وأنه راصد لهم ، آخذ على ألسنتهم ، فلا تستقيم ألسنتهم بقراءة آية من آيات الله حتى يخرجها الشيطان على الوجه الذي يراه ، ويلوى لسان الرسول والنبي إلى ما يريد ..فسبحانك .. سبحانك. هذا بهتان عظيم ، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشقّ الأرض ، وتخرّ الجبال هدّا! »[1].

<u>فمما سبق يتبين:</u> أن الأستاذ الخطيب يرد على الدخيل والإسرائيليات التي ذكرها المفسرون في تفاسيرهم ويدحضها؛ فعند تفسيره لقصة الغرانيق في سورة الحج [2] وعقب الأستاذ الخطيب عليها وقال: « إن تلك الفرية مما دسّ على المسلمين ، في غير انتباه منهم إليه ولا تقدير للشر الذي ينجم عنه، وشغلهم الخبر بغرابته وإثارته عن أن ينظروا فيه نظراً متفحصاً دارساً ..ولو أنهم فعلوا لما كان لهذا الحديث مكان في كتب الحديث ، أو الفقه ، أو التفسير ، سواء أ كان ذلك لمجرد نقل الخبر ، ثم تجريحه ، وتكذيبه ، أو

---

(١) التفسير القرآني للقرآن(٩/١٠٨٤-١٠٨٥).
(٢) سورة الحج الآية(٥٢).

كان لنقله ، ثم نصب العلل التي تخرج به عن مفهومه .. فهو حديث خرافة ، لا ينبغي النظر إليه ، أو الوقوف عنده»[1].

موقفه من تفاصيل ما أجمله القرآن:

لما اتسعت الفتوحات الإسلامية، ودخل في الإسلام أمم من أهل الكتاب، وكانوا يعرفون تفاصيل ما أجمله القرآن من التوراة والإنجيل؛ صاروا يروون هذا للناس وأقبل الناس على سماعها حباً منهم لمعرفة تفاصيل ما أجمله القرآن لاسيما في جانب القصص القرآني؛ فدخل في التفسير الكثير من الدخيل والإسرائيليات.

فعند تفسيره لقوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿مُّمَدَّدَةٍ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ عَمَدٍ

قال الأستاذ الخطيب : «ولكن المفسّرين يذهبون في هذا الأب مذاهب شتّى، فمن قائل: إن اسمه « تارح » ومن قائل : إن آزر اسم جدّه ، أو عمّه ، والعمّ والجدّ يسميان أبا مجازاً!! وذهب بعضهم: أن « آزر » اسم صنم ، وهذا القول ينسب إلى ابن عباسﷺ ، وقد فسّره الزمخشري : أتعبد آزر! منكراً عليه ذلك! (أي أن إبراهيم ينكر على أبيه أن يعبد هذا الصنم آزر).وذهب آخرون إلى أنه وصف في لغة قومه ، ومعناه المخطئ ، وقيل: بل معناه الأعوج.وقيل معنى « آزر » الأستاذ الهرم.ويقول الزجاج : ليس بين النسّابين اختلاف أن اسم أبى إبراهيم « تارح » ! والذي دعا المفسرين إلى تلك المقولات هو ما جاء في التوراة من نسبة إبراهيم عليه السلام إلى أبيه الذي تسميه التوراة « تارحاً »

ثم قال الأستاذ الخطيب: اعتمد المفسرون هذه النسبة وأخذوا بها،

---

(١) التفسير القرآني للقرآن(٩/١٠٨٤).

وتأولوا لها ما جاء في القرآن .. ولم تحدثهم أنفسهم بأن يتأولوا هذه النسبة التي جاءت في التوراة كما تأولوها في القرآن .. ولم تحدثهم أنفسهم بأن في التوراة تحريفاً وتبديلاً تناول كل شيء حتى العقيدة! والذي ينبغي أن يكون عليه الأمر في هذا الموقف؛ هو الوقوف عند ما جاء به القرآن الكريم ، الذي يقول الله سبحانه وتعالى فيه : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ فالقرآن الكريم هو الذي يهيمن على ما سبقه من كتب ، ولا تهيمن عليه ، ويقضى عليها ، ولا تقضى عليه»[1].

وعند تفسيره لسورة البقرة قوله تعالى:﴿□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□﴾

تحت عنوان: « الشجرة التي أكل منها آدمعليه السلام» يقول الأستاذ/ الخطيب: «وهذه الأوصاف التي خلعها إبليس على تلك الشجرة لا تلتقي مع الواقع، ولا تحدّث عن الحق، وإنما هي من تلفيقات إبليس وأكاذيبه، ليخدع بها ويغرى، ومع ذلك فإن المفسّرين والقصاص ، قد ذهبوا في الحديث عن الشجرة ونوعها كل مذهب ، مستندين في هذا إلى بعض الروايات المعزوّة إلى بعض الصحابة والتابعينرضي الله عنهم ، لتكتسب شيئاً من الاحترام والقبول ، وهي في حقيقتها إسرائيليات ، وأساطير ، وخرافات.فالشجرة ، هي « السنبلة » فيما يروى عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، وهي « الكرمة » فيما يروى عن

(١) التفسير القرآني للقرآن (٤ / ٢٢١)

ابن مسعود ﷺ، والسّدّىّ، وهي « التينة » عن ابن جريج، وهي شجرة « الكافور » .. عن علىّ بن أبى طالبﷺ، وهي شجرة « العلم » علم الخير والشر عن الكلبي، وهي شجرة « الخلد» التي كانت تأكل منها الملائكة .. عن ابن جدعان »

ثم بعد ذكره للأقوال السابقة في تفسيره علق عليها بقوله: «وبعيد أن يكون لهذه المقولات مستند صحيح من كتاب أو سنة، وإلا لما كان بينها هذا الاختلاف البعيد في حقيقة واحدة!والقرآن الكريم إذ وقف بالشجرة دون أن يحدّد نوعها ، فإنما ذلك لأنها معروفة معهودة لآدمﷺ ولزوجه . كما قلنا . ثم إن عدم تحديد نوعها في الحديث عنها إلينا ، لا يمنع أن يكون للشجرة مفهوم خاص عندنا ، وإن لم يدخل فيه نوعها أيّا كان! فلنحاول فهم الشجرة على أنها مجرد شجرة ليس لها صفة خاصة تمتاز بها عن الأشجار التي معها ، إلا في تحديد ذاتها بالإشارة إليها! فلتكن هذه الشجرة ما تكون .. شجرة كرم ، أو تين ، أو كافور ، بين العديد من مثيلاتها ، إلّا أن النهي والتحريم وقع عليها ، دون غيرها»[1].

قلت: إن الله تبارك وتعالى لم يبين لنا اسم الشجرة، ولا الرسول ﷺ في حديث صحيح فدلنا ذلك أنها لا يتوقف على معرفتها أية فائدة، ولو علم الله في ذلك فائدة لنا لأطلعنا عليه، فلا ينبغي أن نشغل أنفسنا فيما لا فائدة فيه، ولكن أكثر المفسرين أبوا إلا أن يبحثوا عنها ويحاولوا تحديدها، وبعضهم التزم بالصواب وعدم تحديدها، وكان هذا هو الأولى بالصواب، وفيما يلي بيان ذلك:

يقول الإمام الألوسي بعد أن ذكر الأقوال السابقة في تحديد نوع الشجرة:

«والأولى عدم القطع والتعيين كما أن الله تعالى لم يعينها باسمها في

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/٧٠-٧١)

الآية، ولا أرى ثمرة في تعيين هذه الشجرة»[١].

ويقول الشيخ المراغي:«لم يبين لنا ربنا هذه الشجرة، فلا نستطيع أن نعيّنها من تلقاء أنفسنا بلا دليل قاطع»[٢].

ويقول الشيخ رشيد رضا:« ولم يعين الله تعالى لنا هذه الشجرة فلا نقول في تعيينها شيئاً، وإنما نعلم أن ذلك لحكمة اقتضته »[٣].

قلت: إن عدم تعيين الشجرة من اللهﷻ لحكمه أرادها الله تعالى ، كما أن العلم بحقيقة الشجرة لا ينفع، والجهل بها لا يضر، فثبت بذلك بطلان ما ذكره المفسرون في تحديد نوع الشجرة، ولا نستطيع أن نعين الشجرة من تلقاء أنفسنا فوجب علينا الوقوف عن ظاهر نص القرآن بغير تعيين.

التفسير الصحيح:

«إن الله تعالى أمر آدمعليه السلام وزوجه بسكنى الجنة، والتمتع بما فيها حيث شاءا، والأكل منها أكلا هنيئاً لا عناء فيه، ونهاهما عن الأكل من شجرة معينة، فالأكل منها ظلم لأنفسهما!!» [٤].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام: الألوسي (٢٣٦/١)
(٢) تفسير المراغي للشيخ: أحمد بن مصطفي المراغي (٩١/١)طبعة: البابى الحلبي بمصر
(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)(٢٣٠/١)
(٤) التفسير المنير للدكتور:وهبة الزحيلي(١٣٨/١) باختصار يسير.

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسولنا صل الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه واستن بسنته إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،،

فبعد كتابتي لهذا البحث أردت بفضل الله تبارك وتعالى أن أسجل بعض النتائج التي توصلت إليها أذكر منها:

أولاً: إن الأستاذ الخطيب لم يسلم من المأخذ؛ والسبب في ذلك اعتماده على عقله الحر في تفسيره للقرآن الكريم، ونبذه للتقليد ودعوته للتجديد؛فأنكر الكثير من الحقائق وخرج بالآيات عن معناها؛ مما ترتب على ذلك تقديم العقل على نصوص الشرع، فأنكر النسخ في القرآن، وفسر القرآن بالنظريات العلمية المتغيرة لا بالحقائق العلمية الثابتة، بسبب تأثره بالتقدم العلمي للغرب فتبنى النظريات العلمية، وقام يبحث لها عن سند من القرآن الكريم يؤيدها به؛ فأوّل النصوص القرآنية على هذه النظريات.

ثانياً: يتعصب الأستاذ الخطيب لرأيه ولا يبالى بأقوال المفسرين في الآية، وإن كانت أقوالهم إجماعاً أو شبه إجماع ، وإن وقف جميع العلماء ضده؛ لأنه يرى أن التقليد حجز العقول أن تتصل بكتاب اللهﷻ وبسنة رسوله ﷺ والتقليد بغير عقل ولا هداية لا ينفع، وأن الإنسان لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه، وعرفه بنفسه حتى اقتنع به وحده بغير اهتداء بأسلافه!!

ثالثاً: ما ذكره الأستاذ الخطيب في معنى الأحرف المقطعة في أوائل السور هو رأي المستشرقين، وهو بدعة مستحدثة دخيلة على تفسير القرآن

الكريم .

رابعاً:اهتم بالتفسير بالرأي في تفسيره،وحظه من التفسير بالمأثور قليل،وبضاعته منه مزجاة –ناقصة غير تامة.

خامساً:أدعو إخواني للبحث في مناهج المفسرين لاسيما الاتجاهات المنحرفة والتنقيب عنها ، حتى لا يقع فيها العامة من الناس على أنها تفسير للقرآن الكريم ،وأنا لا أظنها إلا من الدخيل في تفسير القرآن الكريم.

وأخيراً..فلقد بذلت قصارى الجهد في إخراج هذا العمل ؛ بقرأتي في هذا التفسير، وتدوين أهم النقاط التي توضح لي منهجه في تفسيره، وأرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما قصدت، ولكن هذا العمل لا ريب أن فيه بعض القصور، وحسبي أنني مجتهد ما أردت سوى الخير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١-الإتقان في علوم القرآن للإمام: جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)؛ طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢-إتمام الأعلام(ذيل لكتاب الأعلام) لخير الدين الزركلي للدكتورين: نزار أباظة، ومحمد رياض المالح طبعة:دار صادر بيروت (١٩٩٩م).

٣-الإجماع عند المفسرين العناية به ودواعيه وأسباب مخالفته لدى بعض المفسرين للشيخ:محمد الخضيري- مجلة البيان العدد(١٥٣) جمادي الأولى السنة(١٤٢١هـ).

٤-أسباب الخطأ في التفسير للدكتور: طاهر محمود محمد يعقوب ؛طبعة:دار ابن الجوزي- الطبعة الأولى. (١٤٢٥هـ)

٥-أسباب النزول للإمام: الواحدي النيسابوري؛طبعة: الحلبي (١٩٦٨ م).

٦- الإسلام في عصر العلم للأستاذ:محمد فريد وجدي؛ طبعة:دار الكتاب العربي-بيروت الطبعة الثالثة (بدون تاريخ).

٧-الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للشيخ: محمد عبده ؛طبعة:دار المنار الطبعة السابعة(١٣٦٧هـ).

٨-الأصلان في علوم القرآن للدكتور: محمد عبد المنعم القيعي؛ الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).

٩-إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام: ابن قيم الجوزية؛ طبعة:مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

١٠-الأقوال الشاذة في التفسير الدكتور:عبد الرحمن بن صالح الدهش-من سلسلة إصدارات الحكمة(١٩) الطبعة الأولى(٢٠٠٤م) .

١١- إكمال الأعلام بتثليث الكلام للإمام: محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني (المتوفى: ٦٧٢هـ)؛ طبعة: جامعة أم القرى السعودية؛ (١٤٠٤هـ ١٩٨٤م).
١٢- البرهان في علوم القرآن للإمام: أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) طبعة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه؛ الطبعة: الأولى،(١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم
١٣- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ:محمد عبده للسيد:محمد رشيد رضا الطبعة الأولى، مطبعة المنار بمصر (١٣٥٠هـ-١٩٣١م).
١٤- تاريخ التفسير ومناهجه للأستاذ الدكتور: السيد أحمد سويلم؛ طبعة:مركز آيات (٢٠٠٠م).
١٥- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة للشيخ: عبد المجيد الزنداني؛ طبعة المكتبة العصرية(بدون تاريخ).
١٦- التبيان في أقسام القرآن للإمام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : ٧٥١هـ)؛ طبعة : دار المعرفة، بيروت، لبنان؛ تحقيق : محمد حامد الفقي (بدون تاريخ).
١٧- تحبير التيسير في القراءات العشر للإمام: أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين (المتوفى: ٨٣٣هـ)؛ طبعة: دار الفرقان - الأردن - عمان؛ الطبعة: الأولى،(١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ؛ طبعة : دار الفرقان - الأردن ؛ تحقيق الدكتور: أحمد محمد مفلح القضاة.
١٨- تحقيق ودراسة حاشية العلامة عطية الأجهوري المسماة بالكوكبين النيرين في حل ألفاظ الجلالين وذلك من أول تفسير سورة الأنبياء إلى

آخر تفسير سورة النور- إعداد/محمد جبر محمد حسن - إشراف:الأستاذ الدكتور:محمد سعيد عرام، والأستاذ الدكتور:حسن أحمد محمد جبر- رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن -بكلية أصول الدين فرع الزقازيق.

١٩- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للأستاذ:محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)؛ طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٠ م).

٢٠- تفسير القرآن العظيم للإمام: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)؛ طبعة: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت.

٢١- التفسير القرآني للقرآن للأستاذ: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ؛طبعة:دار الفكر العربي القاهرة.

٢٢- تفسير المراغي للشيخ: أحمد بن مصطفي المراغي(المتوفى: ١٣٧١هـ)؛ طبعة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر؛ الطبعة: الأولى،(١٩٤٦ م).

٢٣- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور: وهبة مصطفى الزحيلي؛ طبعة : دار الفكر المعاصر-دمشق (١٤١٨هـ).

٢٤- التفسير والمفسرون للدكتور: محمد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)؛ طبعة: مكتبة وهبة، القاهرة

٢٥- تكملة المعاجم العربية لمؤلفه: رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه:محمَّد سَليم النعَيمي؛ طبعة: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية(٢٠٠٠م).

٢٦- تهذيب التهذيب للإمام: أحمد بن حجر العسقلاني ؛ طبعة: دار الفكر

– بيروت.الطبعة الأولى ،(١٤٠٤ هـ– ١٩٨٤م)

٢٧– الجامع الصحيح المختصر(صحيح البخاري) للإمام: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي طبعة : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ؛ الطبعة الثالثة ،(١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧م).

٢٨– الجامع الصحيح سنن الترمذي للإمام: أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي؛ طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت؛ تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها

٢٩– جامع بيان العلم وفضله للإمام: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي؛ طبعة: مؤسسة الريان – دار ابن حزم، الطبعة الأولى(١٤٢٤هـ–٢٠٠٣ هـ) دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي.

٣٠– الدخيل في تفسير القرآن للدكتور: عبد الوهاب فايد؛ مطبعة، حسان.

٣١– دراسات في علوم القرآن الكريم للدكتور: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي؛ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية عشرة (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) (بدون ناشر).

٣٢– دراسات في علوم القرآن للدكتور: محمد بكر إسماعيل (المتوفى١٤٢٦هـ) ؛ طبعة: دار المنار (١٩٩٩ م).

٣٣–دستور العلماء للقاضي:عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمدي نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص؛ طبعة: دار الكتب العلمية – لبنان –الطبعة: الأولى،(١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م).

٣٤–الرسالة للإمام: محمد بن إدريس الشافعي؛ طبعة: دار الكتب العلمية (بدون تاريخ).

٣٥-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)؛ طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت-الطبعة: الأولى،(١٤١٥ هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية.

٣٦-السبعة في القراءات للإمام: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)؛ طبعة: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية،(١٤٠٠هـ) تحقيق: شوقي ضيف.

٣٧-السلسلة الصحيحة للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني؛ طبعة: مكتبة المعارف – الرياض(بدون تاريخ).

٣٨-سير أعلام النبلاء للإمام: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي شمس الدين (المتوفى: ٧٤٨هـ)؛ طبعة: دار الحديث-القاهرة، وطبعة: مؤسسة الرسالة بيروت(١٩٨٥م).

٣٩-شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه للإمام:سعد الدين التفتازاني ؛ طبعة : دار الكتب العلمية بيروت (١٩٩٦م) تحقيق : زكريا عميرات.

٤٠-شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور: عبد الرحيم فارس أبو علبة؛ رسالة ماجستير(بدون ناشر).

٤١-صحيح الإمام مسلم للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ؛ طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٢-صفوة التفاسير للشيخ: محمد علي الصابوني ؛ طبعة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة: الأولى،(١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م).

٤٣-عبد الكريم الخطيب والثقافة الإسلامية للأستاذ : السيد أبو ضيف المدني طبعة: دار الفكر العربي(١٩٧٩م).
٤٤- العدة في أصول الفقه للقاضي: أبي يعلى محمد بن الحسين المتوفى :(٤٥٨هـ)؛ طبعة:(١٩٩٠م) (بدون ناشر) .
٤٥- العقيدة في الله للدكتور: عمر بن سليمان الأشقر ؛ طبعة: دار النفائس ، الأردن (١٩٩٩ م)
٤٦- علوم القرآن الكريم للدكتور: نور الدين عتر؛ طبعة: الصباح دمشق(١٩٩٣م).
٤٧- فيض المنان في علوم القرآن للدكتور مصطفي رجب ؛ طبعة المكتب المصري(بدون تاريخ).
٤٨- القواعد الأساسية في النحو والصرف تأليف: يوسف الحمادي،و محمد الشناوي، ومحمد شفيق عطا؛ طبعة:الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية(١٩٧٠م).
٤٩- مباحث في علوم القرآن للدكتور: مناع القطان؛ طبعة : مكتبة المعارف (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)
٥٠-مجموع الفتاوى للإمام : أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)؛ طبعة : دار الوفاء (٢٠٠٥م) تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.
٥١- المخصص للإمام: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)؛ طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت-الطبعة: الأولى،(١٤١٧هـ ١٩٩٦م) تحقيق: خليل إبراهيم جفال
٥٢- مراتب الإجماع للإمام: ابن حزم الأندلسي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ؛ طبعة: دار الكتب العلمية.

٥٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) طبعة: مؤسسة الرسالة ؛ الطبعة: الأولى ،(١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م) . تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي

٥٤-مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور تأليف: عادل بن محمد أبو العلاء؛ طبعة: الجامعة الإسلامية بالمدينة ، العدد(١٢٩) - السنة(٣٧)- (١٤٢٥ هـ).

٥٥-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للإمام:أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)؛ طبعة: المكتبة العلمية - بيروت (بدون تاريخ).

٥٦-مع رجال الفكر في القاهرة المؤلف:السيد مرتضى الرضوي (بدون ناشر).

٥٧-المعجم الأوسط للإمام: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني؛ طبعة: دار الحرمين القاهرة ،(١٤١٥هـ)تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ؛ طبعة: دار الحرمين (بدون تاريخ).

٥٨-المعجم الوسيط -مجمع اللغة العربية بالقاهرة-للأساتذة: إبراهيم مصطفى ، وأحمد الزيات ، حامد عبد القادر، ومحمد النجار؛ طبعة: دار الدعوة(بدون تاريخ).

٥٩-المفردات في غريب القرآن للعلامة: أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ؛طبعة : دار العلم الدار الشامية-دمشق . بيروت(١٤١٢ هـ)؛ تحقيق : صفوان عدنان داودى.

٦٠-مقاييس اللغة للعلامة: أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا؛ طبعة: اتحاد الكتاب العرب (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م) تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون.

٦١-ملتقى أهل الحديث بالإنترنت تحت عنوان: الموقف الصحيح من زلة العالم -بتاريخ (٢٠٠٤/٧/٤م) - أرشيف الملتقى بالمكتبة الشاملة (٤٢٤/٣٣) .

٦٢-مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)؛ طبعة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة الثالثة (بدون تاريخ).

٦٣- من غرائب المفسرين في أواخر القرن العشرين للشيخ:محمد عبد الله بن الصديق الجكني الشنقيطي(١٩٩٧م) مطبعة السنة المحمدية (بدون تاريخ).

٦٤-منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور: فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي ؛ الطبعة الثانية(١٩٨٣م) الرياض- جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.

٦٥-الموافقات للإمام : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)؛ طبعة : دار ابن عفان، (١٩٩٧م) .تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

66-الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين؛ طبعة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر. (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م).

67-موقع هدي الإسلام بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور: عبد الحي الفرماوي/www.hadielislam.com

68-الناسخ والمنسوخ للإمام: أبي جعفر النحاس (المتوفى: ٣٣٨هـ) ؛ طبعة : مكتبة الفلاح – الكويت الطبعة: الأولى،(١٤٠٨هـ) تحقيق الدكتور: محمد عبد السلام محمد.

69-الناسخ والمنسوخ للإمام: أبي القاسم هبة الله بن سلامة (المتوفى: ٤١٠هـ)؛طبعة: المكتب الإسلامي – بيروت. تحقيق: زهير الشاويش ، ومحمد كنعان.

70-النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن للدكتور: محمد عبد الله دراز؛ طبعة : دار الثقافة . الدوحة (١٩٨٥م).

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	١٢١
أهمية الموضوع	١٢٢
أسباب اختياره	١٢٣
المنهج في البحث	١٢٤
الدراسات السابقة	١٢٤
خطة البحث	١٢٥
التمهيد ويتضمن	١٢٨
مميزات المدرسة العقلية الحديثة في التفسير	١٣٠
عيوب المدرسة العقلية الحديثة في التفسير	١٣٠
أبرز علماء المدرسة العقلية الحديثة في التفسير	١٣١
بعض آراء الأستاذ الإمام محمد عبده بإيجاز	١٣١
موقف الأستاذ الخطيب من أقوال الأستاذ الإمام في تفسيره لجزء عم	١٣٢
موقف الأستاذ الخطيب من العقل	١٤٢
موقف الأستاذ الخطيب من قضية التقليد والمقلدين	١٤٣
موقف الأستاذ الخطيب من الاجتهاد في تفسيره	١٤٦
المبحث الأول: التعريف بصاحب هذا التفسير	١٤٩
المبحث الثاني:موقفه من التفسير بالمأثور	١٦٠
موقفه من أسماء السور	١٦١

العنوان	الصفحة
موقفه من علم المكي والمدني	١٦٤
موقفه من علم أسباب النزول	١٦٥
موقفه من أول ما نزل و آخر ما نزل	١٦٧
موقفه من علم المناسبات	١٧٠
موقفه من علم القراءات	١٧١
موقفه من علم الناسخ والمنسوخ	١٧٣
موقفه من الحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية	١٧٨
موقفه من التفسير والتأويل، والمحكم والمتشابه	١٨٠
موقفه من الآيات المتشابهات الواردة في الصفات	١٨٥
المبحث الثالث: موقفه من التفسير بالرأي	١٨٩
موقفه من علم غريب القرآن	١٨٩
موقفه من علوم اللغة	١٩٠
موقفه من علم آيات الأحكام	١٩٢
موقفه من الإجماع	١٩٥
موقفه من التفسير الموضوعي	١٩٨
موقفه من التفسير العلمي	٢٠٣
موقفه من علم المتشابه اللفظي في الآيات القرآنية	٢٠٨
موقفه من زيادة حرف في القرآن الكريم	٢٠٩
موقفه من التفسير الإشاري	٢١٢
موقفه من الفرق بين النبي والرسول	٢١٤

العنوان	الصفحة
المبحث الرابع :موقفه من الدخيل والإسرائيليات	٢١٦
موقفه من نظرية النشوء والارتقاء	٢١٧
موقفه من قصة الغرانيق	٢٢٢
موقفه من تفاصيل ما أجمله القرآن	٢٢٥
الخاتمة	٢٢٩
فهرس المصادر والمراجع	٢٣١
فهرس الموضوعات	٢٤٠